العلاقات السياسية بين روسيا وبيزنطة فى القرن العاشر والحادى عشر الميلادي

إعداد

حنان عبده أحمد أحمد

باحثة ماجستير بقسم التاريخ والحضارة

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

DOI: 10.21608/jfpsu.2021.176782

العلاقات السياسية بين روسيا وبيزنطة فى القرن العاشر والحادى عشر الميلادي

المستلخص

اتخذت روسيا اسس لسياستها الخارجية للدول المحيطه بها ،حيث اتخذت من الغزو طريقا لاثبات قوتها ،وقدرتها على القتال خاصة عند اصطدام الروس بالامبراطورية البيزنطة ، فقد سبب مبداء القوة التى اتخذته روسيا فى سوء العلاقات بينهم خاصة بعدما اصبح لروسيا مطامع فى ثروات الامبراطورية البيزنطة وقد ادركت بيزنطة الخطر وراء تلك القوي المتعطشة للدماء ولذلك سعت بيزنطه في السيطرة عليهم وان يتخذوا من الروس حلفاء لهم بدلا من عداوتهم خاصة وان البيزنطيين كانوا منشغلين بحروبهم ضد المسلمين وقد كللت تلك الجهود بالنجاح خاصة بعد موافقة الامبرطور البيزنطى زواج ابنته الامبراطورة البيزنطينية (انا) من الامير الروسى فلاديمير حيث كان يقصد من وراء ذلك تدعيم موقفهم من الوصول الي مكانة الحليف الاول وبذلك اصبحت العلاقات بين الروس والبيزنطيين تتسم بالهدوء خاصة بعد تعميد الامير فلاديميرولكن لم تسير العلاقات بينهم على وتيرة واحده فاصبحت المناوشات والحروب بينهم تهدد جزآ من تلك العلاقة فقد ادى الحادث الذي وقع في القسطنطينية والذي ادي الي مقتل احد التجار الروس الي تعكير تلك العلاقة.

الكلمات المفتاحية: السياسة الخارجية، حلفاء، التعميد، المناوشات والحروب، ثروة ، الامبراطورية البيزنطية.

Political Relations between Russia and Byzantium in the 10th and 11th Century

Abstract

Russia has taken the foundations of its foreign policy to the countries surrounding it, where it took from the invasion a way to prove its strength and its ability to fight, especially when the Russians collided with the Byzantine Empire. The Byzantine Empire realized by zantia the danger behind those bloodthirsty forces, so Byzantia sought to control them and to take the Russians as their allies instead of their enmity, especially since the Byzantines were preoccupied with their wars against the Muslims and they cost them. Efforts to succeed, especially after the approval of the Byzantine Emperor, the marriage of his daughter, the Byzantine Emperor (Ana) from The Russian Prince Vladimir,

where he was meant to strengthen their position in reaching the status of the first ally, and thus relations between the Russians and Byzantines became calm, especially after the baptism of Prince Vladimir, but the relations between them did not go at a single pace, and the skirmishes and wars between them became a threat part of that relationship.

Keywords: Foreign Policy, Skirmishes and wars, Allies, Baptism, Wealth, Byzantine Empire.

مقدمة

تمتع الروس بقوة وبأس شديدين ولدا فيهم طموح غير محدود بهدف اتساع نطاقهم الجغرافي والسياسي إلي أقصي حد ممكن. وقد عرف عنهم انهم محاربون اشداء لا يعرفون الهزيمة، وكانوا علي استعداد دائم للغزو كاحترافهم للتجارة. وقد أدي هذا الأمر لاصطدامهم بقوي سياسية مختلفة كان أكثرها التحاما وتأثيراً الدولة البيزنطية، إلي جانب القوي الأخري المعاصرة والمجاورة لها مثل المسلمين والخزر والبشناق والمجيار.

العلاقات مع الدولة البيزنطية

ساعد الاستقرار السياسي في تدعيم ظهور إمارة كييف، والذي ساهم بدوره في بث روح المغامرة في أهلها،والترحال بحثا عن المجد والثروة ، والتي وجدوها في القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية التي كانت تتمتع بثرائها الفاحش وكونها أيضا مركزاً لعديد من التجار الأجانب القادمين إليها من أنحاء المناطق المعمورة خلال تلك الفترة. فإلي جانب المحارب الذي سلك الطريق ليحظي بالخدمة في العاصمة القسطنطينية كان هناك أيضا التاجر الذي يذهب هناك سعياً من اجل الحصول علي السلع الأجنبية.

وكان حرياً علي الباحثة قبل الخوض في طبيعة العلاقات الروسية البيزنطية أن تلقي الضوء علي الجانب الآخر وهو الدولة البيزنطية. فالدولة البيزنطية بحكم موقعها الجغرافي مترامي الأطراف كان عليها مواجهة العديد من الكيانات السياسية علي مختلف الجبهات ، ومنها بطبيعة الحال الجبهة الشمالية التي سببت لها العديد من المشاكل والاضطرابات الحدودية. وكانت الدولة البيزنطية خلال هذه الفترة تعد صاحبة أكبر ميراث حضاري في العصر الوسيط مما جعل القسطنطينية هدفا استراتيجيا يلوح في سماء

جيرانها. وقد أثبتت هذه المدينة دوما لهم أنها هدف صعب المنال ، الأمر الذي كان يدفعهم للتشديد عليها عسي أن تسقط في أيديهم.

فالحدود الشمالية للدولة البيزنطية التي تمتد من سهول المجر الحديثة غربا إلي بحر قزوين شرقاً كانت تتسم علي مر العصور بأنها شرقية في حضارتها اسيوية في أصولها العرقية، وهي بذلك تختلف حضارياً وعرقياً عن المدن اليونانية الواقعة علي الساحل الشمالي للبحر الأسود ، وعن المجتمعات السلافية في نطاق السهوب المشجرة والغابات الشمالية. وقد توالت علي تلك المنطقة أعداد من القبائل الرعوية التي سببت تحركاتها كثيراً من القلق لأباطرة القسطنطينية الذين تعلموا من طول الخبرة أن هذه الشعوب التي تقيم فيما وراء الدانوب والبحر الأسود كانت تسعي دائما لغزو الأراضي الإمبراطورية بهدف الاستقرار في البلقان([1]).

وفيما يتعلق ببداية ظهور الروس في المحافل البيزنطية فتشير الروايات إلي وصول سفارة روسية إلي القسطنطينية واشتراكها ضمن الوفد البيزنطي الذي أرسله الامبراطور البيزنطي ثاني امبراطورفي الأسرة العمورية ثيوفيل(٨٢٩-٨٤٢م) Theophilus إلي البلاط الفرنجي في شهر يونيو من عام ٨٣٩م ،من أجل طلب العون من الملك الفرنجي لويس التقي(٨١٣-٨٤٠م) لمواجهة الهجمات الإسلامية ، وطلب خلالها الحفاظ علي سلامة الروسي وتأمين سلامته في رحلة العودة ،بعدما تيقن من تعرضهم للخطر في حالة عودتهم من خلال الطريق الذي سبق وأن سلكوه في الوصول للقسطنطينية([2]).

والجدير بالذكر ان الروس عادوا مرة أخري للقسطنطينية في الثامن عشر من يونيو عام ٨٦٠م، ولكنهم هذه المرة كانوا محملين بعداء شديد للبيزنطيين ، حيث شنوا هجوما ضارياً بقيادة الأمير الروسي روريك (٨٦٢-٨٧٩م)Rurikعلي العاصمة القسطنطينية. حيث فوجئ سكان القسطنطينية بمائتي قارب وقد ملأت البسفور ، ونزل راكبوها من المقاتلين الروس دون صعوبة تذكر إلي السواحل وحول القسطنطينية. وكان لهذا الهجوم واقع الصدمة والذهول علي سكان العاصمة. وقد زاد من صعوبة الموقف عدم تواجد

[1] المتولي السيد تميم: البشناق والبيزنطنيون،دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية(٨٥٠-١١٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ،جامعة المنصورة،١٩٩٦م،ص١٥-١٦.

[2] المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق أحسان عباس ،دار صادر ،بيروت،١٩٦٨م،جـ ١،ص٢٤٦، (؛)نقولا زيادة:لمحات من تاريخ العرب،بيروت،١٩٦١م،ص ١٥٤(؛)فازيليف: العرب والروم،ترجمة،محمدعبد الهادي-فؤاد حسنين علي،دار الفكر العربي ،١٩٩٨،ص ١٦٤(؛)طارق منصورمحمد: الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥-١٠٥٤م ، مصر العربية للتوزيع والنشر،القاهرة ٢٠١١م.، ص٣

قوات بيزنطية سواء برية أو بحرية لمواجهة هذا الهجوم. حيث كان الإمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢-٨٧٦م) Michael III مشغولاً بمواجهة المسلمين علي الجبهة الشرقية، بينما كان الأسطول البيزنطي متواجدا في مياه البحر المتوسط ، حيث قام بشن هجومين علي السواحل المصرية عامي ٨٥٣م و٨٥٩م ،(إلي التصدي لهجمات مسلمي كريت التي كانت تمثل إزعاجاً شديداً للدولة البيزنطية. ويؤكد علي هذا الأمر نسطور صاحب الحولية الروسية في قوله"نجد أن الروس قاموا بالهجوم علي القسطنطينية لأنهم كانوا علي دراية بتواجد الإمبراطور البيزنطي وقواته خارج الحدود "([1]).

ومما لاشك فيه أن هذا الهجوم أتسم بالوحشية والشراسة الشديدتين ،استحل خلاله الروس المدينة فقاموا بذبح أعداد غفيرة من السكان الأبرياء، كذلك قاموا بتدمير وتخريب الكثير من الأراضي ،لذلك أطلق البعض علي هذا الهجوم،بالمجزرة الوحشية". وقد قام الروس بعد عمليات السلب والنهب التي قاموا بها بالانسحاب عائدين من حيث اتوا، سواء كان ذلك برضاهم بعد تنفيذ المهمة التي أتوا من أجلها ، أو كان بسبب عودة الإمبراطور ميخائيل الثالث إلي العاصمة من أجل رد الروس.

وقد أشارت الحولية الروسية إلي أن الانسحاب لم يكن بسبب المواجهات العسكرية من القوات البيزنطية ، ولكن من خلال التوسلات واللجوء إلي الرب، حيث نجح الإمبراطور ميخائيل في دخول المدينة وبصعوبة بالغة توجه بصحبة البطريرك فوتيوس photius إلي كنيسة العذراء ، حيث صلوا طوال الليل ورتلوا الترانيم التي ساعدتهم علي غرق السفن في البحر، ويدلل علي ذلك نسطور بقوله"رغم هدوء البحر والأمواج قامت عاصفة قويةٍ مصحوبة بالامواج العاتية تسببت في غرق الروس وقام بالفرار من تبقي منهم إلي الشواطئ حيث استقلوا المراكب وعادوا إلي أوطانهم"([2]).ولكن السؤال الان: هل الصلوات التى ادها البيزنطيين هي سبب غرق السفن ام هناك اسباب اخري؟ والواقع ان الصلوات لم تكن السبب الرئيسي ،فقد نجح الامبراطور ميخائيل الثالث بتنفيذ هجوم مضاد علي الروس،هذا بالإضافة الي العاصفة التي هبت عليهم.

---

[1]The Russian Primary Chronicle,Ed.And Trans. S.H. Cross And O.P. Sherbowitz,Cambridge,Ma,1953. ,P.59,Cf Also,Vasiliev,A., The Russian Attack On Constaninople In 860,Massachusetts,1940,Pp0150-151,Vernadsky,G., The Problem Of The Early Russian Campaign In The Black Sea Area,In,ASEER,Vol.8,No.1,Fab.1949,Pp.1-9.

[4]R.P.C,op.cit,60

علي أية حال أدرك البيزنطيين بعد هذا الدمار الذي حاق بهم أنهم أمام عدو جديد أتي من الشمال يتصف بالعنف والشراسة ،ويجب التعامل معه بصورة أو بأخري تحد من خطورته وأطماعه في ثروات الإمبراطورية. وبالفعل قام الإمبراطور ميخائيل بأرسال سفارة إلي الخزر ليجدد العلاقات معهم من جديد ، حيث رأي فيهم القوة القادرة علي كبح جماح الروس لتفادي خطرهم وهجومهم علي الاراضي البيزنطية.

ويمكن القول بأن الفترة ما بين الهجوم الروسي الأول ٨٦٠م، وحتي بداية القرن العاشر الميلادي شهدت حالة من النشاط الدبلوماسي بين أمارة كييف الروسية الناشئة والدولة البيزنطية، فكلاهما يحمل صفات الصداقة والعداء في نفس الوقت. فخلال فترة حكم الإمبراطور ميخائيل الثالث شهدت القسطنطينية وصول سفارتين روسيتين. و في نفس الوقت فقد أرسل البطريرك فوتيوس بخطابات ودية للروس يطالبهم بوضع أنفسهم تحت الحماية والرعاية البيزنطية، والتخلي عن روح العداء المسيطرة عليهم تجاه الدولة البيزنطية ، كما دعاهم لاعتناق الديانة المسيحية([1]). كماقام الامبراطور باسيل الأول(٨٦٧-٨٨٦م) Basil I باتباع سياسية ودية مع الروس ، حيث حرص علي عقد اتفاق صلح معهم ومنحهم العديد من الهبات والعطايا([2]).

مع نهاية القرن التاسع الميلادي كان القائد الروسي أولج قد تمكن من فرض سيطرته التامة علي كييف وتوحيد الشمال والجنوب ، و من ثم أخذ في التطلع إلي التوسع والغزو الخارجي ، وبطبيعة فإن القسطنطينية سوف تكون هدفاً رئيسياً لطموحاته السياسية علي اعتبار أنها الكيان الحضاري والاقتصادي الوحيد الأقرب لهم والذي يمكن أن يسيل لعابهم من أجلها.ففي عام ٩٠٧م قام الأمير أولج بتجهيز حملةٍ كبيرة بلغ عدد سفنها مئتي سفينة محملة بالخيول ، ويصاحبه أيضا ما يقرب

[1] حاول البطريرك فوتيوس من ناحيته جذب الروس إلي الديانة المسيحية ، حيث يأمل من وراء ذلك التخفيف من حدة توحشهم ، وأن يقوم بأدخالهم في خضم العلاقات الدبلوماسية للأمم المتجضرة، فقام بأرسال بعثة تبشيرية لم تحدد المصادر تاريخها ، ولكن واضح كما يشير المؤرخ كلود شينيه أنها كانت ضيعفة التأثير، واختفت مع اختفاء الكيان السياسي القديم وظهور إمارة كييف علي مسرح الأحداث، ولمزيد من المعلومات، انظر:
جان كلود شينيه:تاريخ بيزنطة،ترجمة جورج زيناتي،بيروت،٢٠٠٨م،ص٨٩.

[2] Vasiliev,A., Op.Cit,Pp.167-168,

من ألفي فارس ، ولما قاربت الحملة مدينة تساجراد Tsagrad القريبة من المياه الأقليمية لبيزنطة، شعر البيزنطيون بالخطر فقاموا بإغلاق السلاسل الموجود بالقرن الذهبي حتي يمنعوا أولج من التقدم نحو القسطنطينية([١]).

وقد تغلب أولج علي هذا الأمر حيث تشير الحولية الروسية بأن الروس قاموا بانتشال سفنهم من الماء وقاموا بوضعها فوق عجلات ودفعوا بها براً نحو القسطنطينية لحصارها. وقد أنزل الروس الكثير من الخسائر،خلال هجومهم علي بيزنطة، ودمروا الكثير من الأماكن وحرقوا العديد من الكنائس ، وسفكوا الكثير من الدماء، وقاموا بممارسة وسائل تعذيب وقتل رهيبة ضد من وقع في أيديهم([٢]).

دفعت تلك الخسائر الإدارة البيزنطية لطلب التفاوض من أجل الصلح ، وعرضت الأطعمة والمشروبات علي أولج ورفاقه ، ولكنه رفض تناولها لخلطها بمواد سامة، وعليه فقد هدد أولج بمواصلة الهجوم في حالة رفض الدولة البيزنطية دفع جزية كتعويض للسفن والجنود المشاركين معه في تلك الحملة. وفي النهاية توصل الطرفان لاتفاق الصلح بينهما ،وتعهد كل طرف بالالتزام وتنفيذ بنود الصلح التي وقعت بينهم، وقام الطرفان بالقسم علي الحفاظ علي السلام كل حسب عاداته ومعتقداته ،حيث قام الأباطرة البيزنطيون ليو السادس واسكندر بتقبيل الصليب ، في الوقت الذي أقسم فيه أولج ورفاقه علي أسلحتهم، وباسم ألهتهم الوثنية، وثبت أولج درعه عند باب القسطنينية ، ثم غادر بيزنطة عائدا إلي بلاده منتشياً بهذا النصر([٣]).

[١] عادة ما كانت بيزنطة تغلق القرن الذهبي بمجوعة من السلاسل الحديدية حتي تعجز أي سفينة من سفن العدو من اختراق منطقة القرن الذهبي ، وسبق واستخدم هذا الأمر أثناء حملة مسلمة بن عبدالملك الكبري عام ٧١٧م وكان لذلك الدور الكبير في فشل الحملة وعودتها لدمشق مرة اخري، وظلت بيزنطة تمارس هذا بنجاح حتي كانت نهايته علي يد السلطان العثماني محمد الثاني ، الذي نجح في اختراق هذا الحاجز وفتح القسطنيتية عام ١٣٥٤م.

[٢] تحفظ المؤرخ فازيليف حول هذه الرواية ، حيث يري أن كاتب الحولية ،الذي دون تلك الأحداث حوالي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي كان متأثراً في كتاباته بما حدث أثناء هجوم محمد الخامس علي القسطنطينية عام ١٤٥٣م ، ونجاحه في نقل سفنه متخطيا السلاسل الحديدية التي كانت تمنع أي سفينة من المرور خلال القرن الذهبي واعتبر أن ذلك حالة أسطورية لا تمس أرض الواقع علي الاطلاق ،انظر : R.P.C,Op.Cit,61; Vasiliev, Op Cit,P.173.

[٣] وجد الروس أنفسهم في موقف القوة وعليهم أن يستغلوا الموقف لتحقيق مكاسب اقتصادية تعود عليهم بالنفع، خاصة وأنهم يعلمون قدر الثراء التي تنعم به بيزنطة ،والفائدة التي تعود عليهم إذا ما رغبو في ممارسة التجارة داخل بيزنطة فيما بعد ،لذلك اشترط الروس للموافقة علي الصلح أن تلبي بيزنطة مطالبهم التي تضمنت حصولهم علي ما يرغبون من الحبوب والمحاصيل الزراعية،كذلك امدادهم بالتجارة لمدة سته أشهر والتي تشتمل علي الخبز واللحم والخمر والسمك والفاكهة، واستخدامهم للحمامات متي يشأون ،وعندما يعود الروس إلي منازلهم فلابد من توفير الطعام والسفن والعربات ويتلقوا كافة متطلباتهم ،انظر الي:R.P.C;op.cit;p.69

ويعلق المروزي علي هذا الحدث قائلاً :"أنهم أناس أقوياء يسافرون رحالة إلي المواضع النازحة للغزو ويسافرون أيضا في السفن في بحر الخزر ويغصبون المراكب ويسلبون الأموال"([1])

بعد إقرار السلام وتحديد قيمة الجزية رحل أولج عائداً إلي بلاده منتشياً بذلك النصر،وقد ساعدت تلك الأجواء علي نوع من التقارب بين كييف والقسطنطينية ، وعادت المفاوضات بينهما مرة أخري والتي أسفرت عن اتفاقية هامة بين الطرفين عام ٩١١م، والتي يصفها المؤرخين أنها بمثابة تجديد للاتفاق السابق.ونصت بنوده على منح تسهيلات وامتيازات تجارية فى الاراضى البيزنطة واستمر السلام بين الطرفين حوالى ثلاثين عاما . وقد احتوت المعاهدة على معلومات تضم العلاقات التجارية بين بيزنطة و روسيا وكذلك تحديد اعداد الروس المسموح لهم بالبقاء داخل القسطنطينية، وعرض الزوار الروس محالتهم والضريبة وغيرها ، من البنود التى نحن بصدد التعرف عليها فى الجزء الخاص بالتجارة ([2]).نصت المعاهدة على البنود الاتية كما ذكرت فى حولية نسطور:

١- ضرورة ان تسود المحبة والود بين اليونان والروس.

٢- منع إرتكاب أي جريمة بين الطرفين.

٣- ضرورة إلتزام كل من الطرفين بالوحدة بينهم.

٤- عقوبة إرتكاب الجرائم لابد ان تتناسب مع الفعل المرتكب.

٥- تطبيق حكم الإعدام عندما يقتل الروس المسيحين او العكس.

٦- اذا هرب الفرد بعد إرتكابه الجريمة فى حالة كونه ثرى فلابد من مصادرة أمواله وفى حالة كون المرتكب المذنب فقير فلابد وضعه تحت الإختبار حتى يتم اعدامه.

[1] المروزي(شرف الزمان طااهر):أبواب عن الصين والترك والهند من كتاب طبائع الحيوان،نشره مينورسكي بالعربية مع ترجمة وتعليق بالانجليزية، لندن ،١٩٤٢م،ص٢٣

[2] تعد هذه المعاهدة بمثابة صورة مقننه ومفصلة من السلام التمهيدي والاتفاق الذي تم عند أسوار القسطنطينية عام ٩٠٧م، علي النحو أفلح الروس في الفوز بمعاهدة مع الإمبراطورية البيزنطية أعتطهم ما كانوا بسعون له من الحصول علي موطن قدم في العاصمة القسطنطينية . فقد صار التجار الروس منذ ذلك اليوم حياً يستقرون فيه بأحدي الضواحي في العاصمة القسطنينية، عرف باسم القديس مماس St.Mamas ، وقد ساعدت تلك الاتفاقية علي تحديد العلاقات التجارية المنتظمة بين المملكة الروسية الناشئة والدولة البيزنطية ، انظر :
السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٢٠،طارق منصور: المرجع السابق،ص ٨.

٧- اذا رفع مواطن السلاح أو السيف فى وجه أى مواطن اخر لابد ان يدفع ٥ جنيهات فضية طبقا للقانون الروس واذا كان الرجل فقيرا فيدفع قدر ما يملك ويحرم من ملابسه التى يرتديها ولا يساعده احد فى دفع قيمة الغرامة.

٨- اذا إرتكب أى فرد روسى السرقة ضد اى فرد مسيحى أو العكس فلابد من فرض عقوبة مناسبة يمكن ان تصل للإعدام من قبل الروس او اليونان.

٩- فى حالة تلقى اى مواطن سواء كان روسى او البيزانطيين سوء معاملة او اى عنف فلابد ان يدفع له مبلغ ٣ اضعاف قيمته([1])

١٠- اذا توقفت سفينة محملة بالبضائع بفعل الرياح العاتية على ارض اجنبية وكان احد الروس قريبا منها فلابد ان يعمل على انزال حمولة السفينة وارسالها الى منطقة مسيحية،فى حالة اعتراض مجرى أي سفينة بفعل العواصف أو أى عوائق أرضية أخرى يمنع وصول السفينة الى وجهتها فلابد من الروسيين أن يقدموا لطاقم السفينة كل المساعدة الممكنة ويمدوهم بالمؤن ويساعدوهم على الوصول لأقرب أرض تابعة لبيزانطه ،أما فى حالة حدوث حادثة بالقرب من الشواطى الروسية فلابد أن يتم انزال حمولة السفينة من البضائع والتزام الامانة فى توزيع البضائع بشكل منظم على ملاك السفينة

١١- فى حالة قتل أى فرد على أى سفينة من قبل الروسيين او يساء معاملة أى مواطن أو تعرض الفرد للسرقة فلابد أن يقع عل المذنب عقوبة تتناسب طرديا مع ما ارتكبه من جرائم.

١٢- إذا ما حدث بيع أى سجين سواء كان روسيا او بيزنطياًعلى أارض اجنبية فلابد أن تعمل الدولتان على شراء المسجون وإعادته الى موطنه الأصلى حتى تتم محاكمته على ما ارتكبه.

١٣- إذا تم سجن أى مواطن روسى من قبل اليونان فلابد من إعادته الى موطنه وإعادة دفع ثمن شراءه حيث يتم تحديد السعر حسب قيمته.

١٤- مهما كانت الضرورة تلزم شن حرب أو تنظيم حملات عسكرية تدعى دخول الروسيين فيها فلابد من اتخاذ اللازم من قبل الإمبراطور وإذا كان راغبا فى شن الحرب ينبغى أن يمارس ما يلزم لتلبية هذه الرغبة.

[1] R.P.C.Op.Cit,P.68

١٥-لو تم بيع أى سجين روسى من أى بلد بين المسيحين أو تم بيع أى سجين مسيحى من قبل الروس فلابد أن يتم دفع فدية تعادل ٢٠ جنيه وينبغى العمل على إعادته الى بلاده.

١٦-فى حالة هروب أى سجين روسى أو بيعه بالاكراه ووجود أفراد شاهدين على هذا الاعتداء فلابد من إعادة السجين الى بلاده .اذا ما قدم أى تاجر نخاسة أى شكوى لخسارته سجين أو عبد فمن حقه أن يبحث عن العبد الخاص به حتى يجده ولكن اذا رفض أى شخص أن يعود للعبودية مرة أخرى فمن حق الموظف المسئول النظر فى شكواه وإعطائه هذا الحق بعدم العودة الى تاجر العبيد([1]).

١٧-فى حالة موت أى رجل روسى يشارك فى المعارك بناءآ على أوامر الامبراطور المسيحى يتم توريث ملكيته ومنزله لورثته من أقاربه أو أنسابه

١٨-إذا اتخذ أى مجرم مأوى له فى بيزنطة من الروس فإن من حق الإمبراطور البيزنطي ان يعطي الأمر بالقبض على المجرم وإعادته الى روسيا رغما عن إرادته ولابد أن يحدث المثل عند الروس([2])

وقد تعهد الطرفان الروسي والبيزنطي، بعدم انتهاك حرمة هذه الاتفاقية والإلتزام بتطبيقها ولابد من كتابتها على قطعة جلدية قرمزية اللون فى حضور ممثلى الدولتين مع القسم بإسم الصليب المقدس والثالوث المقدس وقع الامبراطور على هذه الاتفاقية وسلمها لمبعوثيه. كما أقسموا علي ضرورة احترام هذا الميثاق وعدم استخدام العنف فيما بينهما مع الإلتزام بالوحدة والوئام بينمها، واتفق الطرفان علي ان يمتد الاتفاق بينهما لمدة ثلاثين عاماً. وقد ترجمت هذه الاتفاقية عمليا بين الطرفتين ، حيث مجموعة من البحارة الروس بمشاركة الأسطول البيزنطي بقيادة الأدميرال هيميروس Himeriusعلي جزيرة كريت ([3])عام ٩١١م([4]).

---

١ R.P.C.Op.Cit,P.68.

٢ Ibid

٣ تعد كريت أحدي الجزر الكبري الموجودة في حوض البحر المتوسط، وكانت تعرف خلال العصور القديمة بأسماء متعددة ، فكانت تعرف باسم ماكارونيسوس ويريا Aeria بسب ما تمتعت به من اعتدال مناخها. كما عرفت أيضا باسم دوليخة Doliche نظرا لاستطالة شكلها.أما في فترة العصور الوسطي فقد أطلق عليها الجغرافين العرب أسم أقريطش. وتنقسم الجزيرة اداريا إلي خمسة سناجق، وهي جزيرة غنية بمواردها حيث =يكثر بها أشجار الكروم إلي جانب القمح والشعير. كما يكثر بها الأشجار التي كان يستخدم أشخابها في صناعة السفن، كما اشتهرت أيضا بعسل النحل والجبن ، ولمزيد من المعلومات ،انظر:
أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة،١٩٨٣م،ص ٣١-٣٩

٤ Oblensky,D.,The Byzantine Commonwealth,London,1974,Pp.245-246.

وتكريما منه وتقديرها قام الإمبراطور البيزنطي ثاني حكام السلالة المقدونية ليو السادس (٨٨٦م .٩١٢م)بمنح رسل ومبعوثى الروس هدايا من الذهب والمعاطف والاقمشة ،كما طلب من تابعيه أن يبينوا لهم عظمة الكنائس وجمالها فضلا عن القصور المصنوعة من الذهب ، وقد قام التابعين للامبراطورالبيزنطي بتوضيح ثراء الدولة للرسل الروسيين من حيث توافر الذهب والمعاطف والمجوهرات جنباً الى جنب مع القطع الاثرية لديهم من تيجان وأقمشة مزخرفة ومقابر القديسين . شرحوا لهم معتقداتهم الدينية ومعالم إيمانهم الراسخ، ودعهم الامبراطور عند عودتهم لبلدتهم بترحاب عظيم واحتفال مجيد ، وقدعاد المبعوثين للأمير "oleg" فى مدينة kiev ونقلوا له كلام الأباطرة ليو واخيه وشرعوا فى توضيح مدى تمسكهم بإحلال السلام فيما بينهم (١).

علي أية حال لم تسفر التعهدات التي أقرها الطرفان علي دوام حالة السلم بينهما، فأطماع الجانب الروسي في الثراء البيزنطي غالبا ما كانت تسيطر علي تصرفاته. حيث تجدد الصراع مرة اخرى بينهما. فكما فعل الروس من قبل خلال هجوم عام٨٦٠م ، وهجوم عام ٩٠٧م في إستغلال تواجد الجيش والإسطول البيزنطي في مهام قتالية خارج العاصمة القسطنطينية ، إستغلوا إنشغال الجيش البيزنطي في مهام قتالية في أرمينيا والأسطول في البحر الإيجي ، وشنوا هجومهم الثالث عام ٩٤١م. فقد قام الأمير الروسي ايجور بشن هجوم عنيف علي الأراضي البيزنطية ، وقد تحدثت المصادر العربية والاجنبية بشكل مستفيض عن هذا الهجوم. حيث نجد تفصيلا لهذا الهجومي فى حولية نسطور ،الذي استهل قوله بأن الروس اتجهوا نحو الأراضي البيزنطية بعشرة الأف مركب عبروا خلالها البحر(الاسود) وخربوا كل ما قابلهم من مدن وكانت أكثر المدن التي تعرضت لأعمالهم الوحشية من سلب ونهب وقتل وتخريب مدينتي هرقلية وبفلاجونيا واحرقوا كل ما رأوه بامتداد (خليج البوسفور)،أما الاسرى فقد تعاملوا معهم بطريقة وحشية ،حيث أحرقوا بعضهم ، وقتلوا بعضا منهم، وذبحوا البعض الاخر، واصبح بعض الاسرى هدفا يصوبون عليهم سهامهم، ومن مظاهر التعذيب أنهم قاموا بربط أيدى الكهنة الأسرى وراء ظهورهم ،وثقبوا روؤسهم بمسامير حادة ،وحرق أديرتهم وكنائسهم ،وعلى الرغم من كل هذا الخراب لم يأخذ الروس غنائم فى عودتهم حيث تصدى لهم القائد ثيوفانيس "Theophanes" بالإسطول الذى وصل الى هرقلية، حيث رابط بسفنه هناك عند فاروس والشاطى المجاور لها ،وعندما واتته الفرصة

١

R.P.C,Op.Cit, P.71

إنقض على الروس ،وفك صفوفهم واحرق بالنار الاغريقية عددا كبيرا من مراكبهم أما من تبقى من الروس فقد لاذا بالفرار ،وعبر الى الجهة الشرقية، وهنا التقى بهم القائد البيزنطي برداس فوقاس اثناء بحثهم عن المؤن حيث قضي علي الغالبية العظمي منهم وهاجم جيش الروس،ونكل بهم وهزمهم هزيمة ساحقة تكبدوا خلالها خسائر فادحة واختبأوا فى مراكبهم ، ثم افسد الأطعمه التى كانت بحوزتهم ليعودوا الى بلادهم خوفا من الأسطول البيزنطي المجاور لهم ،ولكنهم لم يفلتوا من يد البطريق "ثيوفانيس" الذى أدرك اتجاهم ،وأسرع للحاق بهم وهزمهم فى معركة بحرية ثانية، وغرقت بعض مراكبهم ،واحرقت البعض الاخر، ولم ينج من المعركة الا عدد قليل عادو لبلادهم (١) .

وقد لخص ايضا يورفيرجنيوس هذه الحملة بانها عكرت صفو السلام بين الامبراطورية البيزنطينية والروس عندما قام الامير الروس ايجوربهجوم مفاجأ على العاصمة البيزنطينية ،ودخلت السفن الروسية مضيق البسفور، ورست القوات الروسية على الشاطى الأسيوى للبسفور، ونهبوا وسلبوا ما فيه(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه :أن الهزيمة التي تلقاها الروس هذه المرة كانت قاسية للغاية ،الأمر الذي دفع الأمير ايجور للاستعداد من جديد لشن هجوم علي الدولة البيزنطية ،ليتمكن من خلالها محو الأثار السيئة للهزيمة السابقة من ذهنه ،لذلك قام بحشد أعداد هائلة من أجناس مختلفة لشن هذا الهجوم ،إلي جانب تجهيز الخيول والمراكب بأعداد كبيرة حتي يتمكن من خلال تلك الحملة محو اثار الهزيمة السابقة من ذهنه(٣).

وبمجرد تحرك الحملة وخروجها من الاراضي الروسية عام ٩٤٤م وصلت أخبارها إلي الإمبراطورالبيزنطي(رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus)(م٩١٩-٩٤٤م) من مصدرين

---

١ حرصا منه علي توطيد العلاقة مع بيزنطة والمساهمة في القضاء علي خطورة الروس علي المنطقة ككل ، قام الملك البلغاري سيمون باخبار الجانب البيزنطي بوصول الروس إلي مدينة تساجراد فيما يقرب من عشرة ألاف مركب، ولمزيد من المعلومات حول هذا الهجوم انظر:طارق منصور محمد،المرجع السابق،ص٩

R.P.C.Op,Cit,P.71-72,perrlem, The History Of Russia.From Early Rus To 1689,(Cambridge Univeisity Press,2006 P.59

Nicolle,D,Angusmcbride Armies Of Medieval Russia ,950-1250 "Ox Ford 1999"P.13.

٢ : قسطنطين السابع بورفيرجنيوس: إدارة الإمبراطورية البيزنطية،ت دكتور محمد سعيد عمران ،بيروت،١٩٧٣م.

٣ تشير الحولية الروسية أن ايجور قام بجمع وتجنيد محاربين متمرسين من جنسيات عديد بهدف الإعداد لهجوم قوي ، كان منهم الفارنجيين ، والصقالبة والروس ، والبشناق Pecheneges، الكريفشيين Krivichian،التفيرسيان Tivercians، البوليان Polyanians، وحتي يضمن ولاؤهم وعدم التعرض للخيانه من جانبهم قام بالاحتفاظ بعدد من الرهائن لديه،وكان ضمن هؤلاء عدد لا بأس ممن شاركوا في الحملات السابقة للاستفادة من خبراتهم السابقة في مواجهة الجيش البيزنطي انظر:

R.P.C.Op,Cit, P.73.

مختلفين ،المصدر الأول من قائد ثيم خرسون Cherson([1])،الذي أرسل يخبره بأن جحافل من الروس في طريقها للأراضي البيزنطية يحملها عدد هائل من السفن يغطي مياه البحر، كما تلقي رسالة أخري من البلغار تفيد بتقدم الروس صوب الأراضي البيزنطية،وأنهم توصلوا لإتفاق بالحصول علي مساعدة، ودعم من البشناق([2]).ويشكل ظهور البشناق إلي جانب الروس حالة من القلق لبيزنطة، فحالة السلم السائدة بين الروس والبشناق تمكن الروس بالتدفق نحو الأراضي البيزنطة في أمان وسهولة ويسر ، لأن الأراضي البشناقية تمثل الشريان الرئيس للروس نحو مياه البحر الأسود والأراضي البيزنطية([3]).

وإذا ما انتقلنا إلي ساحة القتال ،فنجد أن الروس حددوا ميدان المعركة فى هذه المرحلة لكى يكون على نهر الدانوب بدلا من الشاطى الاسيوى ليكونوا على مقربة من البشناق المتحالفين ، والواضح ان ايجور نجح كما ذكرنا سلفاً فى كسب البشناق الى صفه حيث لايستطيع الروس القدوم إلى عاصمة الإمبراطورية البيزنطية او التجارة إلا اذا كانوا على سلام مع البشناق لإن الروس عندما يصلوا الى العوائق التى تعترض مجرى النهر لايستطيعوا العبور عبرها ولذلك فان الروس لا يستطيعوا المرور او مهاجمة بيزنطة الا اذا كانوا على وفاق مع البشناق لان البشناق فى استطاعتهم ابادة الروس وتشتيتهم

[1] أظهرت الدولة البيزنطية منذ زمن بعيد اهتماماً كبيراً بالسواحل الشمالية للبحر الأسود Black Sea،إذ أن التواجد البيزنطي في تلك المنطقة وبخاصة شبه جزيرة القرم The Crimea كان ضرورة حتمية تفرضها التطورات السياسية التي تحل بتلك المنطقة من آن لآخر. فمن خلال ذلك التواجد تمكنت بيزنطة من مراقبة حركة القبائل الرعوية القاطنة علي جانبي بحر أزوف Azov ، إلي جانب استفادتها اقتصاديا من خلال عملية التبادل حالتجاري مع شعوب تلك المنطقة وغيرها من الشعوب المجاورة لها. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأراضي البيزنطية وبخاصة خرسون كانت هدفا للروس بعدما تعرفوا عن قرب الأهمية التجارية لتلك المنطقة ، وما يمكن أن يعود عليهم بالنفع في حالة مد نفوذهم إلي سواحل البحر الأسود،ولذلك فقد كانوا حريصين كل الحرص علي السيطرة والتحكم في الأنهار التي تتصل بالبحر الأسود ،وذلك لمد نفوذهم السياسي الذي سوف يحمي بطبيعة الحال أهدافهم الاقتصادية. ولذلك فقد شهد القرن العاشر العديد من الهجمات الروسية، والتي وصل مداها إلي العاصمة القسطنطينية نفسها، حاول خلالها الروس أن يستميلوا البشناق الحليف الرئيسي لبيزنطة إلي جانبهم لتنفيذ مهامهم دون عناء .ولمزيد من المعلومات ،انظر:
محمد عثمان عبدالجليل: أضواء علي الدور التجاري لخرسون من القرن الخامس الي العاشر الميلادي، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية ، كلية الآداب بشبين الكوم ،جامعة المنوفية.

[2] تختلف المصادر في التعريف حول أصول البشناق،فالبعض يعتبرهم مجهولي الهوية ، في الوقت الذي تشير فيه المصادر العربية إلي أن أصولهم تركية، وتضيف إلي ذلك المصادر التركية والفارسية أنهم أحد بطون قبائل الغز. في نفس الوقت هناك من ينسبهم إلي قبائل القرق الذين كانوا يقطنون شرق بلاد الترك الغربيين ، ولمزيد من المعلومات ،انظر:
المتولي تميم :البشناق،ص٤٢-٤٣.

[3] Dolger,F., Regesten Der Kaiserurkunden Des Ostromischen Reiches Von 565-1453 ,Berlin,1976,Band.III,P.80
يؤكد علي هذا الأمر قسطنطين بورفيروجنيتوس في قوله"الروس لا يستطيعون القدوم إلي عاصمة الإمبراطورية لشن الحرب أو التجارة إلا إذا كانوا في سلام مع البشناق" ،انظر:
قسطنطين السابع: المرجع السابق، ص ٥٥.

عند عبورهم مجرى النهر .وعلي هذا الأساس قاموا بتحديد ميدان المعركة ليكون على نهر الدانوب بدل من الشاطى الاسيوى ،بالقرب من اراضى البشناق، حيث كان الروس يعيشون فى اعالى نهر الدينيبر (١).

كيفما كان الأمرقام الروس بالخروج من النهر ،والتدفق داخل البحر الاسود مما اثار هذا الهجوم قلق الامبراطورية البيزنطية خاصة عندما علموا بالتحالف بين الروس والبشناق ضد الامبراطورية البيزنطية ،وبعدما تيقنوا من الأخبار التي قام بإرسالها البلغار الى رومانس والتى تفيد بقدوم البشناق والروس بقوة هائلة لاتعد ،ولاتحصى للقتال ،كما تجمع المحاربون الروس القدامى الذين امتنعوا عن القتال ضد البيزنطيين فى الحملة الاولى نظرا لانهم كانوا يعملون فى صفوف الجيش البيزنطى ،والتفوا حول قائدهم ايجور أما بالنسبة للبشناق ،فقد أغدق عليهم الهدايا ليصيروا اتباعا لايجور وتم بينهم التحالف (٢).

والواضح ايضا:ان الامبراطورية البيزنطية لم تكن على إستعداد لملاقاة الروس ،والبشناق لإنشغالها بحروبها فى الشرق خلال هذا العام، وما تلى ذلك من صراع على العرش بين (رومانس ،وقسطنطين الرابع)لذلك وجد الامبراطور البيزنطي أن من الحكمة أن يريح نفسه من هذا الصراع وان يرسل الهدايا ويكللها بالصلح .وقام الأمير إيجور بعرض الأمر علي القادة المصاحبين له،الذين وجدوا في هذا الصلح فوائد كبيرة ، فسوف يجنبهم القتال مع البيزنطين في مغامرة لا يعرف عواقبها ، خاصة وأن نشاطهم الحربي يتم من خلال مضايق بحرية وليس دروب برية. وفي نهاية الأمر اقتنع إيجور برأي المصاحبين له،وأخذ في تلقي الهدايا الثمينة،وقام الامبراطور البيزنطي في نفس الوقت ،بإغداق العطايا والمنح علي أمراء البشناق ،في موطنهم حتي يضمن إنفصالهم عن الروس(٣).

---

١ R.P.C.Op,Cit, P.73.

٢ اهتمت المصادر العربية بمتابعة أخبار تلك الحملة لما لمثل هذا الأحداث من تأثير علي الحركة التجارية التي يعد المسلمون قاسم مشترك فيها ، فيصف يحي الانطاكي أحداث هذه الحملة قائلاً" وفي هذه السنة وهي تسع وعشرين وثلاثمائمة، غزا الروس القسطنطينية وقاتلهم الروم ، وطردوهم واستظهروا عليهم وانصرفوا إلي بلادهم" انظر:
يحى بن سعيد الانطاكى :تاريخ الانطاكى,المعروف بصلة تاريخ اوتيخا,تحقيق عمر عبد السلام ,جروس برس-لبنان١٩٩٠م صـ٩٨

٣ جمع ايجور قواته وحاشيته مفكرا فى عرض الامبراطور قائلا نحن لا نعرف من سيفوز بالحرب ومن سينهزم ما الذى نريده اكثر من الذهب والفضة والفراء والمعاطف وما الضرورة للقتال نحن لانعرف ماذا سيحدث فالموت فى انتظارنا.
عندما تلقى ايجور الذهب والفراء والملابس والفضة من البيزانطينين وكانت كمية تكفى الجيش باكمله عاد متجها الى Kiev موطنه الاصلى ، انظر:
R.P.C.Op.Cit,P.73

وعلي الفور تأهب الطرفان لإتمام عملية الصلح ، حيث تبادل الطرفان الوفود من أجل الوصول لاتفاق صلح يرضي الطرفين ، وحيث انتهي الامر بينهم بتجديد معاهدة عام ٩١١م.ومن ثم أخذت الإدارة البيزنطية في تنفيذ اجراءات الصلح ،حيث قام الإمبراطور(رومانوس ليكابينوس) في إرسال، وفد علي رأسه ولي العهد(قسطنطين الثامن)للتفاوض من أجل توقيع معاهدة للصلح بين الطرفين.وبذلك عقدت معاهدة ٩٤٥ م ([1])،والتى كانت تنص على الاتى :-

١- ينبغى على اميرالروس ،ان يرسل الى أباطرة بيزنطة، سفن كثيرة محملة بالبضائع حسب رغبتهم .

٢- فى حالة مجئ الروس بدون سلع ،فليس لهم سلطة تلقى المعونة الشهرية .

٣- السلطات البيزنطيه تسجل اسماء التجار الروس الذين يتلقون مساعدة شهرية عند دخولهم المدينة خلال بوابة واحدة فى مجموعات مكونة من ٥٠ شخص بدون سلاح .

٤- عندما يدخل الروس المدينة ليس لهم الحق ،فى شراء الحرير الذى يتعدى قيمته ٥٠ بيزنط(دينار بيزنطى).

٥- عند مغادرة الروس ،لأبد أن يتلقى الروس ما يحتاجونه من مؤن خلال رحلتهم ويمكن حصولهم، على ما تحتاجه سفنهم، من البضائع حتى يصلوا لوطنهم فى أمان .

٦- لا يحق للروس أن يقضوا فترة الشتاء فى ميدان القديس (سان ماماس)mamas ([2]).

٧- اذا ما هرب أحد العبيد ،من سيده الروسى بينما داخل نطاق امبراطوريتنا او بالقرب من حى سان ماماس، فانه سوف يعتقل اذا ما عثر عليه فى هذا النطاق ،واذا لم يعثر عليه فعلى الروس المسيحيين، ان يقسموا طبقا لعقيدتهم المسيحية ،وغير المسيحيين طبقا لعرفهم وعند أذن سوف يتلقون منا ثمنهم وهو قطعتين من الحرير لكل عبد طبقا للشروط السابقة.

٨- اذا هرب أى عبد سواء روسيا ،او بيزنطى، وسرق أى شى معه فلابد أن يعاد تسليمه لموطنه، ويدفع قيمة ما سرق ،مع اضافة ضعف ثمنه.

٩- اذا ماحاول أى روسى إرتكاب جريمة السرقة،لابد من عرضه على الامبراطور ،وعقابه عقابا شديدا ،ولابد أن يدفع ضعف قيمة ما سرقه .

---

١ Dolger, Op.Cit,P.80.

٢ R.P.C.Op.Cit,P.73

١٠-اذا إعتدى مواطن روسى ،على مواطن بيزنطى ،فلابد من رد الاعتداء حيث يتلقى المعتدى نفس الاعتداء الذى قام به .

١١- اذا ما سرق روسى مواطن يونانى أو العكس لا يجب أن يعيد السارق ما سرقه فقط، بل يعيد ضعف قيمة ما سرقه ،ويتم معاقبة السارق طبقا للقانون اليونانى والتشريع الروسى .

١٢- اذا ما اتخذ روسيا بنات سبايا ضمن ممتلكاته، فلابد أن يدفع فدية قيمتها ١٠ جنيهات، واعادتهن مرة اخرى .

١٣- فى حالة وجود أسرى حرب ،أو عبيد روسيين لابد من دفع فدية قيمتها ١٠ جنيهات ،لكل فرد أما فى حالة المجرمين فلابد أن ينالوا عقابهم جراء ما أرتكبوه من جرائم .

١٤- لايحق لأمراء الروس أن يهاجم البلدان البيزنطية ،أو يحاول اخضاعها لسيطرته .

١٥-فى حالة توقف أى سفينة بيزنطية على ارض روسية ،فلابد أن يتم الحفاظ عليها وعدم إيذاء أفرادها ،أو استعباد الطاقم الخاص بها حسب القوانين اليونانية والروسية .

١٦- فى حالة مجئ البلغار للسيطرة على اقليم خرسون وتدميره فلابد للامير الروسى حمايته ومنعهم من إيذاء هذا الاقليم ([1]).

١٧-إذا أرتكب أى مواطن بيزنطي جريمة ،فلايتم محاكمته طبقا لقانون روسيا ولابد من ان يخضع لمحاكمة يونانية تتناسب ،مع الجرم الذى ارتكبه .

١٨-إذا قتل أى مواطن مسيحى فردا من روسيا أو العكس ،فلابد أن يمسك المجرم من قبل أقارب القتيل ويحل لهم قتله .

١٩- فى حالة هروب القاتل ،فلابد من مصادرة كافة أملاكه بما فيها ثروته، وإذا كان القاتل فقيرا، فلابد من مطاردته والقبض عليه واعدامه .

٢٠-إذا إعتدى روسى على بيزنطي، أو العكس بأى نوع من الأسلحة ،فلابد أن يدفع المعتدى للمعتدى عليه ٥ جنيهات فضية طبقا للقوانين الروسية ،وإذا كان المعتدى فقيرا فلابد أن تباع ممتلكاته ،حتى ملابسه التى يرتديها ،حتى يجرد من كل ما يملك ثم يطلق سراحه .

[1] R.P.C.Op,Cit,Pp75-76,Cf Also,Toynbee,A., Constantine Porphygenitus And His World,London,1973,P.46.

٢١- اذا ما رغبت الحكومة بالتدخل العسكرى ضد خصومها فيمكن أن تأخذ ما ترغب من الجنود بعد استئذان الامبراطور .بسبب ذلك عاشت الدول الاخرى ،فى وحدة ووئام مع روسيا واليونان.

بعد الموافقة على هذه الشروط تم كتابة هذه الاتفاقية فى نسختين واحدة مع حكومة بيزنطة والاخرى مع الروس .

كما فرض الروس بعض الشروط أيضا:-

١- عدم الإعتداء على احد بالإلتزام بتطبيق بنود المعاهدة .

٢- تخلى الروس غير المسيحيين عن الرماح والسيوف وأى نوع من الأسلحة والخضوع للأمير ايجور وأقسموا على ذلك .

٣- من ينتهك هذه المعاهدة سيتعرض للعنة الألهة ،لأنه أخل بالقسم .

٤- العمل على توطيد أواصر الرباط المقدس ،وعقد الصداقة بين روسيا واليونان .

وحتى تتبدل المخاوف من نشوب الحرب ،وإستمرار السلام ([1]).

كانت المرحلة التالية أن قام الامبراطور "ايجور" بإرسال مبعوثيه للامبراطور رومانس،مثلوا أمام الامبراطور معبرين عن رغبة "ايجور" فى السلام وأمله فى أن تسود الوحدة والمحبة بين البلدين .

وبهذا فقد وعد الامبراطور بالامتثال لطلبات "ايجور" لعقد الوحدة بينهم وارساء السلام.

استدعى الامير"ايجور" رسل الامبراطور البيزنطي ونبلائه لأداء كل منهم القسم أمام تمثال الاله perun ([2])فقام الروس بتقديم القرابين للاله من ذهب ودروع وأسلحة وزخارف ،واقسموا بالاله لانهم

[1] - R.P.C,Op.Cit,P.P,77

[2] يحتل الأله بيرن مكانة عظيمة لدي قدامي الصقالبة الوثنيين ، ومنهم انتقل إلي الروس ، ويعرف بإنه إله النار ، والنقي والتقي ،والمشرف علي الحق والعدالة. ويمكن أن تستشف قدراته من خلال الحواس ، عند ظهور الصواعق و الصوت الناتج عن ارتطام الصخور أو الصوت العالي للثيران. وعند دخول المسيحية أصبح يدرج في تعاليم القديس إليا ، إلا أنه ظل متواجد في المعتقدات الشعبية للروس ، ولمزيد من المعلومات ، انظر:

كانوا وثنيين، فى حين أقسم الروس المسيحيين بالصليب المقدس فى كنيسة القديس إلياس حيث كانوا معتنقين الدين المسيحى ،وبعد ان ادى الجميع القسم عاد ايجور ليوقع علي المعاهدة([1]).

بعد أن أبرم "ايجور" المعاهدة مع البيزنطيين ودع مبعوثيهم بالهدايا والمنح مثل الفراء والعبيد والشمع وغيره وعاد الرسل الى الامبراطور البيزنطى واصفين مدى حب "ايجور" وعاطفته تجاه البيزنطيين.

ومن الواضح أن هذه المعاهدة ليست الأولى من نوعها فهذه المعاهدة التى أبرمت فى عام ٩٤٥م تتشابه في بنودها إلي حد كبير مع بنود معاهدة ٩١١م ،والاطراف المذكورة هم إمبراطور الروم "قسطنطين" وإمبراطور روسيا "إيجور الكبير" ،كما أن المواضيع المشمولة مماثلة للمواضيع المذكورة فى معاهدة ٩١١م .

ولكن على العموم كانت أقل مواتاه للروس، فهناك عدة اشارات صريحة للعرف الروسى ،فإختلف كلتا المعاهديين فى تسمية مبعوث امير كييف .ففى معاهدة ٩١١م ،جميع المبعوثين يحملوا أسماء إسكندنافية اما فى معاهدة ٩٤٥م وصف عدد كبير من المبعوثين ،والتجار باسم الدولة أو الامة الروسية .ولكن يتضح لنا من المعاهدة ان الامتيازات البيزيطية ،كانت أقوى من تلك التى منحت للروس، وان العلاقات التجارية بين الروس وبيزنطة قد عالجت من جانب الامبراطور البيزنطى بمنتهى الحكمة،والذكاء عندما قام بخطوته الأولى لتحقيق السلام مع الروس بعدما إستطاع أن يمنعه من التقدم نحو القسطنطينية والأ يتعدى حدود نهر الدانوب وذلك بإغرائه بالذهب والفراء والهدايا الكثيرة، والفضة فإستطاع بذلك كسب ود ،وعاطفة الامير الروسى ،وأبرمت المعاهدة بعد تراض تام بين الطرفين([2]).

Catherine,E., The History Of The Russian Empire From The Foundetion To Declean,London,1757,Vol.I,P.6.

[1] R.P.C.Op.Cit,P.77.

[2] طارق منصور:المرجع السابق ،ص ٣٩، راجع ايضا:

Brugge,F., Law Medieval Russia,Leiden.2009.,P.113.

وعلى هذا النحو تنهى أقسام المعاهدة الثلاثة الرئيسية، والتى شكلت قلب المعاهدة واللافت للنظر فى خاتمة المعاهدة ان الروس ،كانوا خليط من المسيحيين والوثنين لكن البيزنطيون ،كانوا يتقدمون بالحديث أولا عن إخوانهم المسيحيين ثم إخوانهم الوثنين ([1]).

ولكن إذا رجعنا لكلمات نسطور نجد المعاهدة ،وضعت تحت عام ٩٤٤م-٩٤٥م بين الأباطرة الذين سبق ذكرهم فى حال ان الاباطرة البيزنطيين المذكورين عنده هم رومانس و قسطنطين واستيفن حيث ان اولاد رومانس ليكابينوس الثلاثة قاموا بخلع ابيهم فى عام ٩٤٤ ونفيه إلى إحدى الجزر القريبة إلى القسطنطينة. أما قسطنطين السابع نجد أنه فى عام م٩٤٤ قد استولى على السلطة البيزنطية وقد قارب الاربعين من عمره حيث كان يحب حياة الرفاهية واللهو وحياة القصور وحبه للكتابه والتأليف ،وترك كثيرا من شئون الحكم فى يد زوجته الامبراطوره هيلانة إبنت رومانس التى ورثت ،عن والدها حبه للطموح والرغبة فى السيطرة ،والسلطان والسعى للصدارة ،والنفوذ ولو وراء ستار ([2]).

إذاً: فالمعاهدة لايمكن ان تكون وقعت بعد هذا التاريخ (ديسمبر ٩٤٤م) ،ولنعد ثانيا لبعض الرويات حيث نتعرف من خلالها أن الإمبراطور البيزنطى دون أن يحدد إسمه بعث برساله إلى ايجور ليأخذ القسم منه على وثيقة المعاهدة فى مستهل عام ٩٤٥م، وأخذوا القسم من ايجور وشعبه على وثيقة المعاهدة والتى بالطبع كان الامبراطور قد وقع عليها عام ٩٤٤ قبل ارسالها ،فقد أخبرتنا بعض الرويات ان هذه المعاهدة كتبت على الرق من نسختين.إذاً: فإن المعاهدة تنسب الى الإمبراطور رومانس. اذاً: فعام التوقيع (٩٤٤م) ،أما ايجورفقد وقع عليها فى الشهور الاولى لعام ٩٤٥م، بعد توقيع الإمبراطور البيزنطى عليها،وينبغى علينا أن ننسب هذه المعاهدة إلى العام الذى اكتملت فيها أركانها أى بتوقيع الامير الروسى عليها ([3]) .

ومن ثم فقد أدار الأمير الروسى ظهره الى البيزنطيين بعد ان وقع على هذه المعاهدة وبعد ان اطمئن على العلاقات بينهم ،ولهذا فقد وجه وجهه شطر منطقة السهوب ليبسط سيطرته، على القبائل القاطنه بها.

[1] طارق منصور: المرجع السابق،ص ٣٩.
[2] محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص ٢٠٩.
[3] طارق منصور المرجع السابق، ص٢٥

فقد أشار مستشاريا ايجور عليه عام٩٤٥م أنه حان الوقت لشن حملة تأديبية علي الدريفليين Dervelians ([1])، وأجبارهم علي الجزية مرة أخري بعدما أمتنعوا عنها وأستمروا علي هذا الأمر مستغلين حالة التوتر التي كانت سائدة بين الروس والدولة البيزنطية، وبعد أن أخذ ايجور وقته في التفكير وافق علي رأيهم علي الهجوم علي الدريفليان ،وحثهم علي استخدام كل وسائل العنف في دفع الجزية .وعندما عرف الدريفليان بمجيئه مرة أخرى فكر ملكهم قائلا: إذا اقترب الذئب من الماشية ،فلابد له ان يأخذ القطيع بأكمله إذا لم يتم قتله وأشار الى ضرورة قتل "ايجور" حتى لا يستولى عليهم ويدمرهم .قام الدريفليين بمحاصرة ايجور ورجاله وقتلهم فى مدينة (iskorosten) ومازالت مقبرة ايجور موجودة حتى الان فى هذه المدينة السابق ذكرها.وفي هذا الوقت كانت الإمبراطورة اولجا عند وفاة زوجها مع إبنها فى مدينة كييف ، حينها قال قائد جيوش الدريفلنين لقد قتلنا الملك الروسى ،دعونا نأخذ زوجته اولجا زوجة لملكنا mal([2])

أصبح الموقف أكثر تعقيدا علي الأميرة أولجا بعد مصرع زوجها وحداثة سن أبنها ، ورغم ذلك صممت علي الإنتقام وأخذ ثأر زوجها. ولذلك أظهرت السعادة والموافقة علي العرض المقدم من الزواج من حاكم الدريفليان. وعملت علي استخدام الحيلة للإيقاع بهم،بعدما طلبت منهم القدوم إليها في وفد رسمي للحصول علي موافقتها([3]).

أمرت الامبراطورة أولجا بحفر خندق عميق له فتحة كبيرة فى القلعة خارج المدينة فى اليوم التالى ألقت القبض على رسل الدريفليين، ودفنتهم أحياء إنتقاما لمقتل زوجها ، ويشرح لنا نسطور فى كتاباته ما قامت به الامبراطورة أولجا لاخذ ثأر زوجها حيث أرسلت الامبراطورة رسائل للدريفليين، مؤكدة اذا ما كانوا يرغبون فى حضورها كزوجة لملكهم فلابد أن يرسلوا لها أفضل الرجال المميزين لديهم أو أنها لن تذهب، وعندما قرأوا رسالتها جمعوا أفضل رجالهم وارسلوهم لها وعند وصول الدريفليين فى حضرة الإمبرطورة

[1] هذا الاسم مشتق من اللغة السلافية ويعني الخشب والشجر ، وسبب ذلك أن هؤلاء الدريفليان كانوا يسكنون الغابات ، وكانوا معارضين لإمارة كييف منذ نشأتها. ورغم ذلك فقد فرض عليها الأمير أولج الجزية منذ عام ٨٣٣م ، وهو ما يعني فرض سيطرته عليهم، ولذلك كانوا ضمن القوات المشاركة والمساعدة للروس في الهجوم علي الدولة البيزنطية عام ٩٠٧م. ولكنهم توقفوا عن دفع الجزية بعدة وفاة أولج عام ٩١٢م. وقد توعدهم ايجور لعودة السيطرة عليهم ودفعهم للجزية مرة أخري ، ولكن ما حدث هو دفع ايجور حياته ثمنا لهذا الأمر ، ولمزيد من المعلومات ، انظر:

[2] R.P.C.Op.Cit,P.78

[3] Van,R., The Story Of Russia,New York.American Book Company,Library Of Comgress,Two.Jan 1906,P.35

أولجا أمرت بتجهيز الحمامات لهم وتزويدها بالماء الساخن ،دخل رسل الدريفليين الحمامات فطلبت الإمبراطورة إغلاقها وإشعال النيران فيها ،والرجال داخلها فاحترقوا حتى الموت، أرسلت الإمبرطورة رسالة الى الدريفليين معلنة قدومها إليهم ،وطالبة بإعداد كميات ضخمة من الخمر فى المدينة حيث تم قتل زوجها ،واستئذنت للذهاب لقبر زوجها وعمل جنازة مهيبة له([١]).

نفذ الدريفليين أوامر الإمبراطورة بتوفير الخمر والعسل وذهبت لقبر زوجها وذرفت الدموع حزناً عليه ، وأثناء ذلك شرب الدريفليين الخمر إحتفالا بمجئ الإمبراطورة وأسرفوا فى الشراب حتي الثمالة ،فطلبت من الحاشية المصاحبة لها القيام بمذبحة جماعية للدريفليين ،وبلغ من تم ذبحهم حوالي ٥٠٠٠ من الدريفليين ،وبعد ذلك رجعت الإمبراطورة اولجا الى كييف وجهزت جيش كبيراً للقضاء على الباقي منهم. ففي عام ٩٤٦م قامت الامبراطورة اولجا بتجهيز جيشاً كبيرا لمواجهة الدريفليين وكان معها ابنها الامير (سفياتوسلاف- Svyatoslav)،وكان الامير فتى صغير.تحصن الدريفليين داخل المدينة وحاصرتهم الإميرة أولجا وقواتها كان الدريفليين خائفون حيث ادراكوا أنهم قتلوا زوجها وأن الأميرة كانت تنتقم لمقتل زوجها .وظلت أولجا ما يقرب من عام بدون أن تتمكن من دخول المدينة، وأثناء ذلك فكرت فى تنفيذ خطة محكمة للإستيلاء عليها ،فقامت الأميرة بإرسال رسالة ،تطلب فيها من السكان تسليم المدينة لها مع دفع جزية ،فقد كان السكان يعانون من الجوع وعدم القدرة على زراعة أراضيهم ،فأبدي السكان موافقتهم على دفع جزية للامبراطورة سواء من العسل أو الفراء،ولكن فكرها كان أبعد من ذلك ([٢]).

أدعت أولجا رفضها الجزية، وأبدت رغبتها فى الحصول على٣ حمامات و٣ عصافير من كل منزل قائلة لا اريد الحصول على جزية تثقل كاهلكم بل أريد تذكار بسيط من كل منزل فرح الدريفيين بالجزية الرخيصة وجمعوا لها من كل منزل ٣ حمامات و ٣ عصافير ،وعدت الامبراطورة بالعودة الى مدينة كييف فى الغد ، ثم أعطت الإمبراطورة قواتها أوامر بربط خيط فى كل أرجل حمامة وعصفور وربط قطعة من الكبريت مع قطعة قماش فى أرجل الطيور ، ثم إنطلقت الطيور من حمام وعصافير عائدة الى أعشاشها واشعلت النيران فى المنازل ولم يبق أحد منهم ،من نجا من الحريق أمرت أولجا بقتل بعضهم وأستبقت بعضاً منهم كعبيد لها ووافقت أن يدفع بعضهم جزية ثقيلة جزء منها يعود لمدينة كييف مع الإحتفاظ بجزء

[١] Ibid

[٢] -R.P.C,Op.Cit,P.81.; Leclerc, Histoire Physiague,Et Politique, Dela Russie An Cieme M Tome 1(Paris1783) P.P,130-132

من الجزية للامبراطورة فى مدينة(Vyshgorodفيشجورد) التى كانت تقيم بها ،أصبحت مدينة Dereva تحت سيطرة الإمبراطورة أولجا وأبنها وقامت بسن قوانين جديدة ،وفرضت الجزية عليهم ثم رجعت الإمبراطورة عائدة إلى مدينة كييف هى وإبنها، وظلت هناك سنة واحدة لتنظيم شئون الحكم([1]).

بعد أن أخذت أولجا بثأر زوجها وفرضت سيطرتها علي الدريفليين ، توجهت مرة أخري صوب الدولة البيزنطية لتوطيد العلاقات بينهما من جديد،حيث قامت بزيارة تعد الأهم في تاريخ العلاقات بينهما ، حيث أنها كانت بمثابة التمهيد للتمكين الديني المستقبلي للمسيحية في روسيا، فكل المحاولات السابقة أسفرت عن تواجد ضعيف في روسيا وكانت الغلبة في كل الأحوال للوثنية.فقد قامت أولجا بزيارة للعاصمة القسطنطينية عام ٩٥٧م للتأكيد علي معاهدة السلام بين إمارة كييف والدولة البيزنطية التي وقع عليها بين الطرفين عام ٩٤٥م.([2])

ومما يذكر أن هناك روايتان حول زيارة الأميرة أولجا للقسطنطينية ، الرواية الأولي ، رواية بيزنطية من خلال كتاب المراسيم . حيث قام باستقبالها الإمبراطور قسطنطين السابع بحفاوة بالغة ، وتم الاستقبال علي مرحلتين ، الأولي عندما استقبلها الإمبراطور في صباح يوم الأربعاء الموافق التاسع من سبتمبر . حيث استقبلها الإمبراطور عند بهو جستنيان أمام القصر ،ثم اصطحبها إلي الداخل حيث كان في إستقبالها كبار القوم سواء كانوا من كبار الموظفين ، أو من نساء القصر .وبعد أن انتهت الأميرة من تلقي كلمات الترحيب من نساء البلاط أخذت في التوجه إلي داخل قاعة اخري. أما المرحلة الثانية فكانت خلال مأدبة العشاء التي أقامها الإمبراطور علي شرف الأميرة ، والتي حضرها من الجانب الروسي عدد من النبلاء والتجار الذين كانوا بصحبة الأميرة أولجا. ورغم أن الزيارة استمرت حتي الثامن عشر من شهر اكتوبر ،فالملاحظ أن المصادر البيزنطية لم تفسح المجال لمعلومات كثيرة عن تلك الزيارة([3]).

أما الثانية فالتي أوردتها الحولية الروسية والتي حاول صاحبها خلالها رفع مكانة الأميرة ،ووصفها بصفات عديد كالذكاء والفطنة والحنكة والجمال والجاذبية. وقد بدأ الحديث حول إعجاب الإمبراطور

[1] Ostrogorsky,M., History of Byzantine State, Oxford,1956,p250.;Solovier,A.,L'Organzation de L'etat russae au x siècle.L'europeaux ix-xi siècles,Varsovie,1968,pp.250-253.

[2] Maclear,G., A History of Christian Mission During the Middle Ages,Cambrigde,1863,p.290.;Oblensky,op cit,p.248.

[3] Constantine Porphyrogennetos,The Book of Cerermony,trans by,Moffatt,A.,Canberra,2012,pp.594-595,

قسطنطين بالأميرة من خلال الحوار الذي دار بينهما ، حيث لاحظ حسب رواية صاحب الحولية أنها جديرة بأن تشاركه الحكم ، ولكنها ردت عليه بأنها ما زالت وثنية ، وإذا كان لديك الرغبة في تعميدي فإن ذلك يكون من خلالك.وتواصل الحولية الأحداث، حيث أشارت إلي قيام الإمبراطور والبطريرك بتعميد أولجا، وبعد الإنتهاء من التعميد دعاها لحضرته وطلب منها الزواج . وعلي ما يبدو أنها لم تكن راغبة في ذلك ،فلجأت إلي استخدام الحنكة في الاعتذار، فقالت له كيف تقدم علي زواجي وأنت من عمدتني بنفسك وناديتني"بإبنتك"، وعلي حد علمك أنت ،فإن هذا الأمر غير جائز بين المسيحيين. وقد اقتنع الإمبراطور بما رددته واحترم رأيها، ورد عيها قائلا "لقد فقتني حيلة وذكاء"([1]) .

علي أية حال اعتنقت أولجا المسيحية ،وأصبح أسمها (هلينا Helena)تيمناً بوالدة الإمبراطور قسطنطين، وقد وجدت أولجا فى الديانة المسيحية حرية الفكر وأرتياح الروح والجسد وفرحت بخروجها من الظلام الي النور وأصبحت الأميرة أولجا سعيدة بدخول الدين المسيحى وبعد أنتهاء زيارتها للقسطنطينية،عادت إلي كييف وهي راغبة في نشر المسيحية بين بني جلدتها، **وقد** طلبت الإمبراطورة أولجا من البطريرك مباركتها قبل عودتها لبلدها وكانت متوجسة خيفة أن شعبها على الديانة الوثنية،ولكن البطريك طمأنها مشجعا إياها بأنها فى حماية الرب والألهة والله قادر أن يصرف عنها اعتداء قومها.وقد حاولت أن توطد مبادئ عقيدتها الجديدة في قلب أبنها سفياتوسلاف، ولكن فرحتها لم تكتمل حين رفض ابنها ذلك ،وثبت على اعتناق الوثنية قائلا" كيف تريدين أن أعتنق دينا جديداً ،سيسخر منى قومى ، ووضحت له الامبراطورة اولجا أن قومه اذا ما رأوه تحول لدين جديد سيقلدونه ويفعلون مثله ، وإستأت اولجا من موقف ابنها ودعت له الأله أن يهدى قلبه هو واتباعه للدين المسيحى ([2]).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمبراطور قسطنطين السابع فور علمه بوصول الأميرة أولجا إلي كييف قام بإرسال سفارة إلي كييف يطلب من الأميرة أن تفي بعهدها بأن ترسل له ما تم الاتفاق عليه بينهما خلال تواجدها بالعاصمة القسطنطينية ، وينقل لنا صاحب الحولية وصفاً لتلك الرسالة في قول" بما أنني أغدقت عليكي الهدايا العديدة، لقد وعدتني أن ترسلي عقب عودتك لبلاد الروس ، هدايا من العبيد والشمع والفراء ، وأن تبعثي لي بجنود لمساعدتي"([3]).

---

١ R.P.C,Op.Cit,P.82-83

٢ Meclear,Op.Cit,P.290.

٣ R.P.C,Op.Cit,P-83

والشئ الملاحظ أن المصادر البيزنطية لم تشر من قريب أو بعيد لتلك الرسالة. وعلي العموم يفهم من تلك الكلمات أن الإمبراطور قسطنطين السابع كان يهدف إلي تفعيل البنود السابق الاتفاق عليها في معاهدة ٩٤٥م، إلي جانب أن الأميرة أولجا كانت ترغب من وراء التعميد ونشر المسيحية حسب رؤية ابولنسكي ، أن تضع مملكتها مستقبلا في مقدمة الأمم المتحضرة ([١]).

الغريب في الأمر أنه رغم كل هذه الأحداث التي ذكرتها المصادر والتي تعبر في مجملها عن طيب العلاقات بين كييف وبيزنطة ،فإن الأميرة أولجا قامت من ناحيتها بأرسال سفارة للملك الألماني أتو الأول Otto I(٩٣٦-٩٧٣م) تطلب منه إرسال أسقف لاتيني لنشر المسيحية الكاثوليكية، ويصف البعض هذا الأمر بأنه يعد بمثابة رد فعل الأميرة بسبب تأخر الإمبراطور في إستقبالها في بداية زيارتها للقسطنطينية ،فأعتبرته بمثابة إهانة لها([٢]).

علي أية حال ساعدت تلك الزيارة علي تهدئة الأوضاع السياسية بين إمارة كييف والدولة البيزنطية ، رغم إقدام أولجا علي إستدعاء رجال الدين الألمان للتبشير، ونشر تعاليم المسيحية في كييف. والواضح أن كل من الطرفين كان يأمل في نشر السلام والعمل علي تنشيط الحركة التجارية، والتبادل السلعي في المنطقة.

والجدير بالذكر أن الأمير سفياتوسلاف تولي مقاليد حكم إمارة كييف بعدما تخلت أمه عن الوصاية بعد بلوغه السن القانوني. وكان سفياتوسلاف متشبعا بسياسة أسلافه في ممارسة الأعمال التوسعية والعدوانية ضد جيرانه حتي يجبرهم علي الخضوع والولاء ودفع الجزية لإمارة كييف([٣]).

كانت الوجهه التالية لسفياتوسلاف منطقة البلقان ، حيث أتيحت له فرصة ذهبية لغزو الأراضي البلغارية حوالي عام ٩٦٧م. ويعود السبب في ذلك إلي حدوث بعض المتغيرات السياسية في الدولة البيزنطية، حيث دفعت الأنتصارات العسكرية التي حققها الإمبراطور نقفور فوقاس علي الجبهة الشرقية إلي الإمتناع عن دفع أي أموال للبغار مما جعلهم يتغاضون عن مرور قبائل المجيار من خلال أراضيهم

---

١. Oblensky,op. Cit,P250

٢. Oblensky,G., Byzantium And Slaves,U.S.A,1994,221,

٣ ما أن تحرر سفياتوسلاف من طوق الوصاية أراد القيام بعمل عسكري يظهر قوته وشخصيته التي تميل للتوسع وإخضاع الكيانات المحيطة به ، فشن هجوما في البداية علي القبائل المتواجده بين وادي الفولجا والأوكا، ثم تبع ذلك بهجوم ضاري علي قبائل الفياتشيان Vyatichians أنتهي بفرض الجزية عليهم. ثم انتقل بعد ذلك بقواته إلي الأراضي الخزرية وأجبرهم علي دفع الجزية أيضا بعدما أستولي علي العديد من المدن الهامة بها،انظر:

R.P.C,Op.Citp-84.

للهجوم علي الاراضي البيزنطية، وعندما تقدمت الدولة البيزنطية للبغار بطلبها بمنع المجيار تحجج البلغار بعدم توافر الأمكانيات العسكرية التي تمكنهم من منع المجيار من إستخدام أراضيها لمهاجمة الدولة البيزنطية([1]).

وقد أثار هذا التصرف غضب الإمبراطور نقفور فوقاس ، وهداه تفكيره في النهاية في الاستعانة بالروس لتأديب البلغار لمنع المجيار من إجتياز الأراضي البلغارية وتهديد الحدود البيزنطية من حين لأخر. وقد قام الإمبراطور بأرسال سفارة ترأسها أحد رجال الدولة ويدعي(كالكيروس kalokyros)الذي حمل عرضا من الإمبراطور بمنح الأمير سفياتوسلاف ما يقرب من الف وخمسائة جنهيا ذهبيا من الأعداد والتجهيز لتلك الحملة. والشئ الغريب في الأمر أن السفير البيزنطي تفاوض سراً مع سفياتوسلاف علي أن يساعد الأخير كالكيروس للوصول للعرش البيزنطي بعد إقصاء نقفور فوقاس ، وفي حالة نجاح تلك المؤامرة يمنحه كالكيروس بلاد البلغار له إلي الأبد([2]).

والسؤال الذي يطرح نفسه الأن هل كان الإمبراطور نقفور يدرك عواقب هذا الأمر ، حيث أنه في هذه الحالة يحي روح الطموح والطمع الكامنة في نفس الروس نحو التوسع وتهديد المصالح البيزنطية في منطقتي البلقان والقرم ؟ والإجابةعلي هذا السؤال لها إحتمالان ، الأول أنه علي ما يبدو أن الإمبراطور لم يكن موفقاً في هذا الأمر حيث تملكته حماقة كبري لم يكن يدرك عواقبها ، وهو ما سوف تعبر عنه الأحداث خلال السطور القادمة.أما الأحتمال الثاني فهو أن الإمبراطور أراد أن يورط الروس في مستنقع البلقان ، بعدما قاموا بغزو أراضي الخزر ،فأراد أن يمتص قوتهم ويستزفها في صراع جديد بعيد عنه.كيفما كان الأمر فإن سفياتوسلاف وجد أن كل الظروف تساعده لتحقيق فوائد جامة له ، فالوضع الحالي سوف يطلق يده في بلاد البلغار مما يحقق له مكاسب سياسية وإقتصادية لم يكن ليتوقعها بهذه السهولة. وبالفعل

[1] كثف نقفور من نشاطه العسكرى على التخوم الإسلامية عام ٩٦٤م/٣٥٣هـ تمكن خلالها من الاستيلاء على أدنه والمصيصة وطرطوس، وبفتح تلك المدن انفتحت السُبل والدروب إلى بلاد الشام. والملاحظ أن سيف الدولة لم يقدم على مواجهة نقفور لما كان يعانيه من مشاكل داخل أمارته، وانفتحت الدروب والمدن أمام الزحف البيزنطى، مما اضطر سيف الدولة الحمدانى لطلب الصلح عام ٩٦٧م/٣٥٧هـ ، خاصة بعد استيلاء نقفور على حصن قيليقيا، ولمزيد من العلومات انظر:
محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطنية،دار المعرفة الجامعية،١٩٩٤م، ص٢٣٢-٢٣٤؛ هبه جبر عطيه، الصلات الحضارية بين الدولة البيزنطية والمسلمين في القرنين التاسع والعاشر للميلاد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة بورسعيد، ٢٠١٩م، ص٤٩.

[2] كالكيروس أبن حاكم إقليم خرسون الذي تنظر له بيزنطة علي أنه الرئة التي تتنفس بها بيزنطة في منطقة البحر الأسود ، وقد قام الإمبراطور نقفور بترقيته إلي مرتبة البطريق قبل أن يرسله إلي الروس، انظر:
Skylitzes A Snopsis Of Byzantine History:811-1057 A.D,Transby,Wrtley,J., Cambridge,2011,P.265.

تقدم سفياتوسلاف كما ذكرنا سلفا عام ٩٦٧م ،في جيش كبير نحو الأراضي البلغارية وتمكن في البداية من فرض سيطرته علي منطقة pereyaslavets الواقعة عند مصب نهر الدانوب والتي تعد أهم مركز تجاري جعل الروس يتحكمون في حركة مرور التجارة خلال نهر الدانوب. وقد لفت هذا الأمر إنتباه الإمبراطور نقفور فوقاس مما جعله يقوم بتحريض البشناق لمهاجمة الأراضي الروسية ،وهو الأمر الذي دفع سفياتوسلاف للإنسحاب من بلغاريا والعودة إلي كييف لدرء الخطر البشناقي([1]).

وما أن أنتهي سفياتوسلاف من درء الخطر البشناقي حتي عاود هجومه مرة أخري علي الأراضي البلغارية وهو يضمر داخل نفسه الغضب من ناحية الدولة البيزنطية بعدما تناثرت الأقوال بدورهم في الهجوم البشناقي . وأستطاع بعد مجهود كبير أن يسترد مدينة pereyaslavets ذات الأهمية التجارية مرة أخري ، و أستغل سفياتوسلاف الظروف التي مرت بها الدولة البيزنطية، والتي تمثلت في مقتل نقفور فوقاس خلال مؤامرة دبرتها زوجته مع أحد قواده يوحنا تزيميسكس(٩٦٩م-٩٧٦م) ،الذي تولي العرش البيزنطي خلفا لنقفور فوقاس ، وقام بعملية توسعية في الأراضي البلغارية وهاجم العاصمة بريسلاف نفسها ،إلي جانب بعض المدن الاستراتيجية([2]).

ويعطي المؤرخ البيزنطي كدرينوس وصفا لتحركات سفياتوسلاف وتوغله في البلقان قائلاً" ان الروس بقيادة ملكهم سفياتوسلاف قاموا باقتحام شبه جزيرة البلقان وتقدموا نحو القسطنطينية بالقرب من مدينة أدرنه الى تراقيا حيث قاموا بتخريبها وشاعوا فيها الفوضى وإنساب الروس فى شمال تراقيا فوصلت طلائعهم فعلا الى أدرنة على مقربة من القسطنطينية فعاثوا الفساد فى كل مامروا به وأحدثوا الخراب بكل

[1] أدي تلاحق الأحداث والإنجازات السريعة للروس التي خدمت مصالحهم الشخصية علي حساب الدولة البيزنطية إلي إيقاظ الإمبراطور نقفور من غفوته ، الأمر الذي جعله يبحث عن وسيلة تساعده علي تطيل الروس، فلم يجد أمامه حليفاً إلا البشناق،وتشير المصادر إلي الأهوال التي تعرضت لها أمارة كييف جراء هجوم البشناق،حيث حلت المجاعة بالسكان، وضعفت المقاومة الأمر الذي كاد يعرض الأمارة للسقوط، ولجوء الأميرة الأم أولجا وأحفادها للأستسلام للبشناق،فأرسلوا في عجالة يستغيثوا بسفياتوسلاف ولمزيد من المعلومات انظر:
المتولي تميم: المرجع السابق،ص٨٩، راجع ايضا:

R.P.C,Op,Citp-85.

[2] قامت زوجة نقفور بالتأمر مع عشيقها الذي هو في نفس الوقت من أهم قواد الإمبراطور ويدعي يوحنا تزيميسكس علي زوجها وقاموا بقتله ، وبناء عليه تولي يوحنا عرش الإمبراطورية خلفا لنقفور. واستغل سفياتوسلاف هذه الظروف وقام بالتوغل في الأراضي البلغاريه ضامنا ألا يعترضه أحد لانشغال الإمبراطورية بتلك الأحداث،وكلل جهود جهوده بالاستيلاء علي العاصمة وأسر الحاكم البلغاري بوريس و شقيقه رومانوس وبقية الأسرة البلغارية الحاكمة، انظر:
Leo Deacon,The History Of Leo The Deacon,Trans By, Tablo,A., Washington,2005,P.138;Cf Also,Haywood,A., Northen Viking Saga,AD 793-1214,Newyork,2016,967.

ماصادفهم ثم بدأت أرتالهم تتقدم ناحية العاصمة البيزنطية فى ربيع سنة ٩٧٠م"(١)، ويفهم من تلك الرواية كم الدمار والتخريب الذي أحدثه الروس دون إعتبار أوإلتفات للدولة البيزنطية.

والجدير بالذكر أن نشاطه لم يتوقف عند هذا الحد ، حيث دفعه طموحه أن يتوجه صوب العاصمة القسطنطينة نفسها عن طريق تراقيا. وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر أقلق الإمبراطور يوحنا تزيمسكس ، والذي حاول قدر الإمكان أن يثني سفياتوسلاف عن القيام بالهجوم والزحف نحو القسطنطينية، حاول خلالها إستخدام سلاح المغريات ، ولكنه فشل في إقناعه،الأمر الذي جعل سفياتوسلاف يرفع من سقف أطماعه، حيث خير الإمبراطور بين الحرب أو الاستغناءعن الأملاك البيزنطية في أوربا والانسحاب إلي أسيا. وهو الأمر الذي جعل الإمبراطور يستعجل بتجهيز الجيوش البيزنطية براً وبحراً لمواجهة هذا الخطر الروسي قبل أن يصل للعاصمة القسطنينية(٢).

وكانت البداية من خلال الهجوم البري الذي قاده القائد برداس سكليروس ، والذي تمكن من هزيمة سفياتوسلاف عند مدينة (اركاديوبوليس–Arcadiopolis) التي تبعد بحوالي ٧٠ كيلو متر من العاصمة القسطنطينية ،وكان للتكتيك العسكري دور بارز في إنهاء تلك المعركة لصالح الجيش البيزنطي،فقد أعد القائد البيزنطي العديد من الكمائن للقوات الروسية والتي وقعوا فيها بسهولة. فلما أصبحوا في متناول الجيش البيزنطي ،إنهالت عليهم القوات البيزنطية وأسخنت فيهم بكل شدة ، حتي كانت الهزيمة التي اجبرت سفياتوسلاف للإنسحاب إلي الأراضي البلغارية مرة أخري (٣).

ثم كانت الحملة الثانية التي قادها يوحنا تزيميسكس في فصل الربيع، حيث أعد أسطولا بحريا تسلح بالنار الإغريقية وأبحر من خلال نهر الدانوب . ويذكر لنا كدرلينوس ان الإمبراطور البيزنطى جهز جيشا

[1] cedrenus,II,Compendium Historiam,ed.Bekker,SCHB,Bonn,1835.
,P.382.

[٢] قام الإمبراطور يوحنا بتقديم عرض مغري تمثل في دفع نفس المبلغ الذي سبق ودفعه سلفه الإمبراطور نقفور فوقاس أو أكثر، وفي مناورة منه لمعرفة عدد القوات الروسية المتواجدة علي أرض المعركة طلب منه معرفة عدد القوات المصاحبة لتقدير الجزية علي هذا الأساس ، وقد فطن سفياتوسلاف لهذا الأمر فقد قواته بما يقرب من عشرين الف جندي ، ربما كان هذا الخاطئ يبيا في ان يأخذ به المؤرخ ليو الشماس دون غيره من المؤرخين لتقدير عدد الجيش الروسي. إلا أن غرور سفياتوسلاف ساقه للرفض ، وأرسل ليوحنا يخيره بين الحرب أو الانسحاب من أوربا والتواجد فقط داخل آسيا ، فما كان من الإمبراطور يوحنا إلا الاعداد والتجهيز لحملة تأديبية لإعادة الهيبة للدولة البيزنطية : انظر:

Leon Deacon, Op.Cit,P.199. -Cedrenus,II,P.384 .

[٣] أثناء اشتعال المعركة انشغال الطرفين بالقتال قام كاليكروس بالأنسحاب سراً ودون علم سفياتوسلاف ، مخافة الوقوع في يد القوات البيزنطيه بعدما علم بتقدمها وتفوقها الميداني، انظر:

Leo Deacon, op.cit,pp.181-183,R.P.C,p.87;cf also,Whitte,M.,The Making of Orthodox Byzantium,600-1025,U.K,1996,p.295.

ضخما لملاقاة الروس والتخلص من خطرهم الداهم على الإمبراطورية فقاد جيشاً قوامه خمسة ألاف رجل وأربعة ألاف فارس. ويضيف أن الروس لم يكونوا على دراية بهذة الحملة وقد عبرت القوات البيزنطية مضايق البلقان الجبلية بسهولة تامة نظرا لإنعدام وجود قوات من الروس تحرسها ،وبعد إجتيازها وجد الجيش البيزنطى نفسه فى مواجهة منطقة بنيويك كامتشك الريفية والتى تقع فى منتصف مدينة بريسلاف. وبعد يوم من الراحة داخل المعسكر ،تم التقدم نحو الريف المحيط بمدينة بريسلاف يوم ١٢ أبريل حيث لم يتوقع الروس حدوث شئ ،وعندما أدركوا إقتراب البيزنطيين منهم كانت هى اللحظة التى أنطلقت فيها اصوات النفير لتعلن بدء الهجوم البيزنطى عليهم .ومن ثم أصبح تزيمسكس أمام بوابات بريسلاف التى كان يدافع عنها ثمانية الأف مقاتل روسى يقودهم القائد الروسى سفنجللوس ومعه الخائن كالكيروس ،وكان سفياتوسلاف نفسه عند مدينة دريسترا الواقعة عند الدانوب ربما فى محاولة منه لجعل خط إتصالاته مع كييف مفتوحا فى مواجهة الأسطول البيزنطي، وما أن هجمت القوات البيزنطية حتى أضطر الروس للدخول فى المعركة لكن بعد صراع دامي وغير حاسم أنهزموا فيه مرارا أرتدوا الى المدينة وتحصنوا خلف أسوارها(١).

وبعد إنتهاء الإحتفال بعيد الفصح استأنف الطرفان القتال من جديد فى السهل الممتد جنوب دريسترا ذى المنحنيات الأرضية .وأثناء ذلك قام سفياتوسلاف بتقسيم قواته على شكل كتائب واضعا الفرسان البشناق على الاجنحة .وفي المقابل قام تزيمسكس بتقسيم قواته من المشاه أمام المشاة الروس واضعاً فرسانه على الاجنحة لتتولى مقاومة البشناق، وقد أبلت المشاة الإمبراطورية بلاء حسنا فى مواجهة مشاة الروس الشديدة المراس .وأشتبك فرسان الروس مع الفرسان البيزنطيين الذين كانوا يتقهقرون أمامهم ولكن ثبت الإمبراطور البيزنطى مع مشاته الأرمن الذين أجبروا العدو بدروعهم القوية على الأنسحاب والفرار وقد تبعهم الإمبراطور شاهرا سيفه فى يده ومعه فرسانه حتى تقهقروا خلف أسوار المدينة المتحصنين بها وقد شجع الظلام الدامس الروس على الانسحاب الى ما وراء أسوار المدينة وأدرك تزيمسكس ان الاقتحام والاستيلاء عليها عنوة أمر مستحيل ولكن فى استطاعته الانتظار حتى يتعجل الروس القتال مدفوعين بالمجاعة التى ستلحق بهم من جراء الحصار البيزنطى لهم وأنهم مجبرون على ايجاد حل لما هم فيه . استمر حصار البيزنطيين للروس فى(دريسترا) خمسة وستين يوما ،وكانت مدة الحملة حوالى ثلاثة شهور

١ cedrenus,II,P.384 ;Ostrogosky,op.cit,p.262

كاملة وانتهت فى يوليو من (عام ٩٧١م) . وقد حاول الروس قطع الخطوط البيزنطية لكن ايقافهم كان يتم دائما مع الحاق الخسائر الفادحة بهم ففى الخامس والعشرين من شهر ابريل امر الامبراطور بشن هجوم على الروس وفشل هذا الهجوم بعد ان رده الروس بهجوم مماثل .،وإنتهت الأعمال الحربية لصالح الجيش البيزنطي([1])

علي أية حال ترقب الطرفان الموقف لبعض الوقت ، حيث أن الهجوم لم تحسم الأمر بشك قاطع، وإن كان سفياتوسلاف يدرك أن وجوده مع العدد القليل الذي تبقي من جنوده لا يمكن أن يحميه من أي هجوم بيزنطي.ولكن في نفس الوقت أتسمت سياسة الإمبراطور البيزنطى يوحنا تزيمسكس بالدبلوماسية لسابق علمه بالأساليب التي يمكن التعامل معها مع الروس ، حتي يجنب الدولة ويلات القتال. وقد أشار عليه المقربين له ان يغرى سفياتوسلاف بالهدايا مثل (الذهب والفضة والحرير) لهذا أرسل الإمبراطور يوحنا هدايا لسفياتوسلاف. ونبه الإمبراطور علي مبعوثيه ان يتمعنوا فى النظر لملامح وجه وروح سفياتوسلاف .لم يهتم سفياتوسلاف بالهدايا ،وأشار لخادمه بالاحتفاظ بها . ونقل الرسول للإمبراطور يوحنا ما حدث من عدم أهتمام سفياتوسلاف بالهدايا وطلبه من خادمه الإحتفاظ بها . نصح الإمبراطورأحد رجال حاشيته بأن يجرب مرة ثانية أن يرسل له دروع حربية ، فقبل سفياتوسلاف الهدايا بترحاب وأعجب بها وأرسل تحياته للإمبراطور . قال الرسول لابد ان يكون هذا الرجل صلب حيث لم يهتم بالذهب ،وأبدى إعجابه بالدروع الحربية،فلابد أن نحاول عدم إثارته وجعله يتقبل دفع الجزية([2]).

وفي النهاية دون الكاتب ذلك "هذه نسخة من المعاهدة التى وقعها الأمير الروسي سفياتوسلاف مع الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس في (دريسترا) فى شهر يوليو فى عام ٩٧١م معلنا رغبة الإمبراطور والروس فى إقامة عهد من الإمبراطور على خضوع روسيا بسكانها ومبعوثيها تحت حكمه ويأمل فى توقف الهجمات على الإمبراطورية وعدم جمعه لاى جيش من المرتزقة الأجانب لأى غرض من أغراض الأعتداء على الإمبراطورية أو أى منطقة خاصة إقليم Kherson .و فى حالة إعتداء إى قوى عسكرية على الإمبراطورية سوف يقوم بالدفاع عنها وشن حرب على المعتدى وعلى هذا اعطي القسم للإمبراطور البيزنطى بصحبة مبعوثيه ومواطنيه بالحفاظ على هذه المعاهدة وعدم انتهاكها.وفى حالة الاخلال باى

[1] طارق منصور: المرجع السابق،ص٧٦-، راجع ايضا:(؛ R.P.C,Op.Cit,P.87

[2] R.P.C,Op.Citp.87-90

شرط من الشروط السابق ذكرها ساكون انا وبلدى وشعبى فئة ملعونة من الاله (perun)وسيتم ذبحنا باسلحتنا .تشهد هذه الوثيقة على صحة هذه المعاهدة بتوقيع الإمبراطور عليها .وبعقد هذه المعاهدة بين الطرفين تخلص بيزنطه من خطر داهم كاد يعصف بها، ويقضى على كل ماحققته على مدى تاريخها الطويل لان فكرة الإستيلاء على العاصمة البيزنطية والعرش البيزنطى ، التى راودت الملك البلغارى من قبل كانت قد إستبدلت بهذا الملك الروسى ولا سبيل الى المقارنة بين المملكتين فقد كان الروس فى مرحلة بداوه ولديهم من النواحى العدوانية ما يكفى لإزعاج بيزنطه وينذرها بشر مستطير اكثر مما هددها من جهة البلغار(١).

وقد تضمن الأتفاق بعض البنود التي انفردت بها المصادر البيزنطية ، والتي أشارت إلي سماح الروس بناء علي طلبهم الانسحاب دون مضايقات ، وأن يتم أمدادهم بالمؤن اللازمة لهم خلال رحلة العودة لبلادهم. كذلك يتم تفعيل بنود المعاهدة المبرمة بينهما (عام ٩٤٥م)،وكذلك السماح للروس بالتنقل بحرية تامة داخل الأراضي البيزنطية ،والتعهد بعدم مضايقة البشناق لهم في رحلة العودة. وقبل الرحيل طلب سفياتوسلاف لقاء الإمبراطور يوحنا قبل الرحيل ، وقد تم اللقاء بالفعل عند أحدي ضفتي نهر الدانوب ظهر خلالها الإمبراطور في أبهي صورة، وتم الحوار بينهم في ود ، ثم رحلت القوات الروسية في مراكبها دون مضايقات ، وأخذ بعد ذلك الإمبراطور (يوحنا تزيميسكس)في ترسيم الحدود البيزنطية المواجهة للبلغار بشكل يعوق أي هجوم روسي مستقبلي للأراضي البيزنطية من تلك الجهة(٢).

علي أية حال أنتهت حملة سفياتوسلاف غير الموفقة علي الأراضي البلغارية دون تحقيق مشروعه التوسعي بضم الأراضي البلغارية للأراضي الروسية وتكوين إمبراطورية روسية مترامية الأطراف تكون عاصمتها برسيلاف. كذلك وبعد أن كان يتعامل مع رسل الأباطرة بغرور رافضاً الإنسحاب والعودة لبلاده محملا بالهدايا وممنوحاً للكثير من الامتيازات ،أخذ يلتمس السماح في الخروج الامن والتعهد بعدم تعرضه لأي مضايقات سواء من البيزنطيين أو البشناق(٣).

---

١ محمد مرسي الشيخ،المرجع السابق ،ص ٢٥٩،راجع أيضا(؛ R.P.C,Op.Cit.PP.89-90.)

٢ Leo Deacon,Op Cit,P199.,Cedrenus,Op Cit,P.388.

٣ كان سفياتوسرف يشعر بثقة زائدة في تحقيق حلمه بفرض سيطرته علي البلقان أملا في نجاح مشروعه التوسعي في بناء إمبراطورية مترامية الأطراف، حتي أنه عند الخروج خلال حملته الثانية ٩٧٠م علي البلقان بعد تخلصه من الخطر البشناقي أعلن عن رغبته في نقل عاصمة ملكه إلي الدانوب، لذلك قضي الشتاء في إدة تنظيم مملكته وتوزيعها بين ابنائه الثلاثة ، انظر:
المتولي تميم،المرجع السابق، ص ٨٩ ، راجع أيضا(؛ R.P.C,Op.Cit,P.87)

سعي الإمبراطور يوحنا من جانبه تنفيذ الإتفاق الخاص بمنع البشناق من مهاجمة سفياتوسلاف خلال رحلة العودة. ومن أجل ذلك أرسل من جانبه المطران ثيوفيل Theophelosمطران أوخيتا ، إلا هذا الأمر لم يلق القبول لدي البشناق. ومن المحتمل أن هذه الأخبار وصلت إلي معسكر الروس ،الأمر الذي دفع أحد قادة سفياتوسلاف تقديم النصح للأمير بالعودة من خلال الطرق البرية ،لأن البشناق يكمنون للروس في منطقة مستنقعات الدنيبر، خاصة بعد ورود أخبار تفيد بأن الروس محملين بكميات كبيرة من الذهب التي تحصلوا عليها من بيزنطة. ولكنه رغم ذلك سلك نفس الطريق ، وعندما وصل إلي هناك شعر بخطورة الموقف وعدم صعوبة تخطي تلك الشلالات ، لقلة قواته العسكرية مقارنة بأعداد البشناق.فقرر المكوث وقضاء فصل الشتاء في منطقة بلوبرج (Beloberg)الواقعة علي البحر الأسود. ومكث بها حتي حل فصل الربيع لعام ٩٧٢م ، ليتحرك إلي كييف، ورغم ذلك فقد نفذ القدر، حيث هاجمه البشناق،و لقي حتفه ، وصنع خان البشناق كوريه kouria من جمجة سفياتوسلاف كأس يحتسي فيه الخمر(١).

أدي مقتل سفياتوسلاف إلي تهدئة الأوضاع بين إمارة كييف والدولة البيزنطية لبعض من الوقت ،بسبب إنشغال أبناء سفياتوسلاف في الصراع فيما بينهما للفوز بحكم الإمارة ، والذي جاء في النهاية لصالح فلاديمير الذي استعان في صراعه ضد أخيه (ياروبولك–Yaropllk) بمجموعة كبيرة من المقاتلين الفارنجيين،أثناء فراره من أخيه لدي أحد أقاربه والذي يدعي (Haakon Sigurdsson) الذي كان يحكم النرويج حينذاك. ثم ما لبث أن مارس سياسة أسلافه بعد إستقرار الأمور له في كييف ، حيث قام بمهاجة جيرانه ، من أجل الأعلان عن تواجده وإرغامهم علي دفع الجزية بعدما توقفوا عنها مستغلين الحروب الداخلية بين الأشقاء في كييف(٢).

علي الجانب الأخر كانت الدولة البيزنطية تتعرض هي الأخري لبعض المشاكل علي الصعيدين الخارجي والداخلي ، فقد نشط البلغار لبعض الوقت في منطقة البلقان . ،ولكن أكثر الأمور صعوبة تمثلت في تمرد القائد البيزنطي (برداس سكليرو–Bardas Sclerus) الذي تحالف مع المسلمين ضد الدولة البيزنطية ، الأمر الذي دفع الإمبراطور (باسيل الثاني–Pasil II)لإصدار الأوامر للقائد (برداس فوقاس–Bardas phocas) لإخماد هذا التمرد.ولكن وللأسف فإن برداس فوقاس أستغل الموقف لصالحه،فبدلاً

١ المتولي تميم، المرجع السابق ،ص ٩٢، راجع أيضا:
Cedrenus,Ii,P.412, R.P.C.Op.Cit,P.90

٢ R.P.C,Op.Cit,P.92

من القضاء علي التمرد والقبض علي سكليروس وتسليمه للإمبراطور للنظر في أمره، تحفظ عليه وأعلن تمرده علي الإمبراطور، وقد تمكن بما لديه من قوات أن يفرض سيطرته علي معظم آسيا الصغري. أصبح الإمبراطور في حيرة من أمره وهداه تفكيره في النهاية في طلب المساعدة من أمير كييف فلاديمير. وعلي الفور قام الإمبراطور(باسيل الثاني)بإرسال سفارة محاطة بالسرية إلي أمير كييف فلاديمير، يطلب منه إرسال عدد كبير من الجنود لمساعدته في اخماد هذا التمرد([1]).

بعد أطلاع فلاديمير علي مهمة السفارة وافق علي إرسال الجنود لنجدة الإمبراطور شريطة موافقة الإمبراطور علي زواج فلاديمير من شقيقته (آنا Anna)، وكان يقصد من وراء ذلك تدعيم موقفهم من الوصول إلي مكانة الحليف الأول .ولما كان الرد يفوق التفويض الممنوح للسفارة ، فقد عادوا لعرض الأمر علي الإمبراطور، والذي وقع عليه الأمر كالصاعقة، ولكن الظرف الراهنة جعلته يخضع ولو مؤقتا لهذا المطلب. وبالفعل أوفي فلاديمير بعهده وقام في(ربيع ٩٨٨م) بأرسال ما يقرب من ستة ألاف جندي، ساعدوا الإمبراطور في القضاء علي تمرد (برداس فوقاس).ثم انتظر الأمير فلاديمير تنفيذ الإمبراطور لوعده ،من الزواج من الأميره آنا ، ولكنه تلقي صدمة بالغة برفض الإمبراطور بحجة اختلاف الديانتين. ورغبة في الانتقام ، قام الامير فلاديمير بالهجوم علي مدينة خرسون ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة للدولة البيزنطية وذلك في صيف (عام ٩٨٨م). وأخذ في محاصرة المدينة التي قاومت فيها المدينة مقاومة عظيمة مدة طويلة ، ولم يتمكن من دخولها إلا بفعل الخيانة في حوالي شتاء ٩٨٩م([2]). ومن خرسون أرسل أمير كييف برسالات تهديد للإمبراطور باسيل الثاني بمهاجمة القسطنطينية

[1] لم يجد الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني مفر في الاستعانة بمساعدة روسية من اجل مواجهة التمردات الداخلية، متمثلة في ثورتي برداس سكليروس،وبرداس فوقاس. وقد استغل الأمير الروسي فلاديمير تلك الظروف وطلب يد شقيقة الإمبراطور الأميرة آنا بورفيروجنيتا Ann Porphyrognita. وكان يقصد من وراء ذلك تدعيم موقفهم من الوصول إلي مكانة الحليف الأول،وقد ساير الإمبراطور الأمير الروسي،فقام الأمير بإرسال القوات اللازمة لمساعدة الإمبراطور، نفسها في حال ومن ثم طلب الأمير من الإمبراطور تنفيذ وعده، فكان رد الإمبراطور بالرفض بحجة اختلاف الديانتين، فقام فلاديمير بمهاجمة خرسون انتقاما لما حدث.و هدد الأمير فلاديمير بغزو القسطنطينية الامتناع عن تحقيق رغبته بالزواج من الأمير،فدخل الطرفان في مفاوضات جديدة ،أسفرت علي الموافقة علي الزواج شريطة تعميد الأمير الروسي ،وهو ما تم بالفعل،ولمزيد من المعلومات ،انظر:-
طارق منصور،الروس ،ص ٩٧-١٠١،راجع أيضا:-
R.P.C.P.113,Cf Also, ;Milner-Gulland,The Russians,Wiley-Blackwelly,2000,Pp93-94

[2] كان أهل خرسون يفضلون الحفاظ علي المكاسب التي تحققت لهم من خلال العلاقة مع بيزنطة ، ومن ثم فقد ظلوا يقاومون الحصار الروسي الذي طال أمده ،حتى كانت الخيانة علي يد رجل منهم يدعي انستاسيوس Anastatius.حيث أطلق سهماً صوب المعسكر الروسي كتب عليه تلك الكلمات"هناك ينابيع خلفك ناحية الشرق ،يتدفق منها الماء إلي المدينة،نقب عنها واقطعها" . وأخذ الأمير الروسي بالنصيحة،وقطع المياه مما أصاب الناس بالظمأ داخل المدينة، فقاموا بالاستسلام، ولمزيد من المعلومات انظر:-
طارق منصور،المرجع السابق،ص ١٠٤؛ انظر أيضا:-

نفسها في حالة عدم تلبية رغبته. لم يجد باسيل الثاني أمامه شئ سوي التفاوض مع فلاديمير ، والذي أسفر في النهاية علي الموافقة علي توقف عدوانه وتهديداته مقابل الزواج من الأميرة شريطة تعميد الأمير الروسي وهو ما تم بالفعل ([1])

وبطبيعة الحال فإن تلك الفترة التي شملها حصارخرسون، إلي جانب الفترة التي قضاها الأمير الروسي فيها قبل أن يتخلي عنها كهدية لزواجه من الأميرة آنا، قد أضر بمستقبل المدينة كنقطة التقاء للتجارة وذلك بسبب إفتقاد الأمن ، التي تميزت به من قبل والخراب الذي حل بها. وقد أدت هذه الفوضى إلي هجرة التجار من خرسون وعودة معظمهم إلي القسطنطينية وتخليهم عن ممارسة مهنة التجارة، ليعملوا كصيارفة للمرتزقة الروس والفارنجيينVarangianالذين انخرطوا كمرتزقة في الجيش البيزنطي، ووكلاء للعديد من الملاك البلغار والسلاف الذين قاموا بشراء منتجاتهم .وتشير بعض الآراء إلي وجود اتفاق غير معلن بين الإمبراطور البيزنطي والأمير الروسي ، منح خلاله الأمير الروسي أفضلية للتجارة مع حليفها الجديد،علي الرغم من علمها بتأثير ذلك سلبيا علي خرسون ، مما حرمها في النهاية من إستعادة رخائها الاقتصادي الذي كافحت للحافظ عليه لعديد من القرون، كما كان للطبيعة دور في تحجيم ذلك الدور ،حيث تعرضت خرسون لزلزال مدمر أصابها بأضرار كثيرة ،كانت تحتاج بعده لكثير من الوقت حتى تتلافى أخطاره المدمرة([2]).

اتسمت العلاقة بين الطرفين بالهدوء لفترة من الوقت ،خاصة بعد التعميد ، ولم يعكر ذلك إلا الحادث الذي وقع بمدينة القسطنطينية عام ١٠٤٣م ، والذي أدي إلي مقتل أحد التجار الروس ، فقام التجار الروس المقيمن بالمدينة بتقديم شكوي للأمير ياروسلاف مطالبين باخذ الثائر. فأمر الامير الروسي بخروج حملة كبيرة صوب العاصمة القسطنطينية.وقد تحرك الأسطول الروسى وظهر فجاءة بصورة لم يتوقعها البيزنطيون فى البروبونتس ،وهذا ما تؤكده المصادر البيزنطية حيث أصاب البيزنطيين الرعب الشديد عندما فوجئوا بالمراكب الروسية خشية ارتكاب الروس لمذابح جديدة،خاصة ان البيزنطيين لم يكونوا علي علم بالهجوم ولذلك لم يستعدوا لتلك المواجهة الاستعداد الأمثل ،الا أن بعض الروايات الاخري اشارت الى

R.P.C.Op.Cit,p.p.,111-112.

[1] Leo Deacon,Op Cit,P 217

[2] محمد عثمان عبد الجليل، المرجع السابق ، ص ١٢

ان الروس قد إستعدوا لهذا الهجوم سراً وإزاء هذا الظهور المفاجئ للروس فى (البروبونتس) ووصول الانباء الى الإمبراطور قام الأخير بإرسال رسله الى فلاديمير للتفاوض معه طالبا منه ان يغمد سلاحه ولايفسد العلاقات الحسنة بين البلدين ،كما ابدى استعداده لتعويضه عن الخسائر التى لحقت بالروس ،إلا أن الأمير الروسى رفض عروض الإمبراطور البيزنطى بل ،وخاطب سفراء الامبراطور بوقاحة عندئذاً أدرك الامبراطور أنه لا جدوى من التفاوض مع ياروسلاف ،وأخذ يعد العدة لقتاله ([1]).

اتخذ الامبراطور قسطنطين الثامن مونوماخوس (١٠٤٢-١٠٥٤م)إجراءات عسكرية فورية للإستعداد لقتال الروس فإرتفعت رايات الحرب فى المدينة واخذ المبلغون يعلنون فى المدينة عن الحرب ضد الروس وقام الإمبراطور البيزنطى بالقبض على الروس المتواجدين فى القسطنطينية خشية أن ينضموا الي ذويهم أثناء القتال. وبعث بهم إلى الثيمات النائية وهم تحت الحراسة الى أن تضع الحرب أوزارها ،وحشد الإمبراطور كل ما تيسر له من القوات ومن سكان القسطنطينية ،وجعلهم على سفن حربية ومراكب خفيفة وإنطلق بهم الى الميناء، كما صحبه برا عدد لا بأس به من الفرسان وبعد تأمين السواحل انطلق الإمبراطور بقواته وسفنه وقد ركب سفينته الملكية لمقابلة العدو فى الميناء ويذكر أطالياتس أنه زود سفنه بالنيران الاغريقية كما أمر قواته بإطلاق الصيحات المدوية والهتافات لإرهاب العدو . وفى إحدى الروايات التى ذكرت إرسال الإمبراطور البيزنطى بسفارة إلى الأمير فلاديمير لتعرض عليه عقد سلام بينهم ،إلا أن فلاديمير رد بإساءة بالغة فى معاملة رسل الإمبراطور وإزء رفض فلاديمير عروض السلام أعطى الإمبراطور الإشارة لبدء القتال فتحركت سفينتان كبيرتان من قطع الإسطول البيزنطى إلى الأمام صوب العدو بعد أن حملتا بحملة الرماح ورماة الاحجار وقاذفى النيران الاغريقية ،وقد ابتلع الروس هذا الشرك البيزنطى فما أن رأوا هاتين السفينتين بمفرديهما حتى انفرط عقد المراكب الروسية التى أسرع بالتجمع حول السفينتين وانقسموا الى مجموعتين تحاصر كل منهما واحدة من السفينتين ،وأخذت القوات البيزنطية تمطرهم بالأحجار والنيران الاغريقية. فى الوقت الذى كان يحاول فيه الروس ثقب السفينتين عن طريق وخزها بأعمدة طويلة ،وقد أشتد الرماة البيزنطيين فى إمطار الروس بالاحجار حتى عجزوا عن الرؤية فبدأوا فى الإنسحاب إلى الداخل للعودة إلى رفاقهم بعد أن فقدوا الأمل فى أسر السفينتين وبعد أن أفقدهم البيزنطيين سبعا من

[1] Michael Attaleiates,History of Michael Attaleiates,trans by,Kalellis,A,London,2012,p.33, Dolger,op cit,vol II,p.4.

مراكبهم بفعل النيران الاغريقية ،وأسروا ثلاثا منها بالاضافة إلى عشرات القتلى الروس على هذا النحو تنتهى المرحلة الأولى من المعركة ([1]).

كيفما كان الأمر فإن الأدارة البيزنطية استفادت من الروس ،من خلال تلقي اعداد كثيرة من الجنود الروس الذين أحسنوا الخدمة في الجيش البيزنطي، والحرس الخاص للإباطرة البيزنطيين.فقد استطاع الإمبراطور البيزنطي من القضاء علي التمرد الذي قاده برداس فوقاس والذي هدد أمن الإمبراطوريه، بعدما تلقي دعم روسي قوامه ما يقرب من ستة الاف مقاتل.ومنذ هذه اللحظة أصبح الروس يشكلون ركنا أساسياً في الجيش البيزنطي.

كما شكل الروس عنصراً أساسيا في القوات البيزنطية التي شنت الهجمات المتتالية علي المسلمين في بلاد الشام وآسيا الصغري، وكان ذلك ظاهراً بوضوح في أعداد الأسري البيزنطيين الذين وقعوا في أسر سيف الدولة الحمداني خلال المعارك التي قادها ضد البيزنطيين عام ٩٥٤م.كما أستعان بهم أيضا باسيل الثاني في صراعه مع الفاطميين في بلاد الشام،ونفس الشئ في مواجهة بني مرداس ،كما كان لهم دور بارز في معركة ملاذكرت والتي انتهت بهزيمة ساحقة للبيزنطيين علي يد السلاجقة ، وتم خلالها أسر الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع.([2])

[1] Michael Attaleiates,Op Cit,Pp.33-34.

[2] (أين التوثيق)

نتائج البحث

ومن خلال البحث السابق يتضح الدور التى لعبه الروس لكي يتمكنوا من وضع أنفسهم على الخريطة السياسية خلال فترة ظهورهم حيث بدأ الروس فى اتخاذ سياسة الفتح والغزو على حساب جيرانهم خاصة بعد نزوح السويدين وإختلاطهم بتلك القبائل ولهذا فقد حاول الروس الظهور كقوة كبرى مثلها مثل باقى القوي الموجودة على الساحة السياسية فى تلك الفترة كالبيزنطين والبشناق ودول الفولجا لذلك قام الروس بمهاجمة بيزنطة لاول مرة عام ٨٦٠م ،كما قاموا بالاعتداء البشع علي مايحيط بهم من قوي وذلك لاظهار قوتهم وتوضيح سياستهم لذلك فانهم قاموا بالكثير من الانتهاكات الاخلاقية الشديدة ضد تلك المدن حينما قاموا بمهاجمتهم سواء بالقتل أو السلب لممتلكاتهم وثرواتهم أو بأسر أهلها ولهذا فكان يجب على المجتمع البيزنطى بصفة خاصة أن يجد حلاً لتلك الانتهاكات والغارات المتكررة فسعى جاهدا الى عقد الاتفاقيات بينهم وبين الروس والقوى الاخرى وكانت تلك الاتفاقيات والمعاهدات متنوعة وذلك حسب ماتقتضيه الظروف فمنها الدينية حيث سعت بيزنطةجاهدة نشر الدين المسيحي الارثوذكسي بين ارجاء روسيا من خلال ارسال بعثات تبشيرية متنوعة فمنها ما كان يقوم به التبشريين داخل الاراضي البيزنطينية حينما يقوموا بنشرالدين المسيحي بين التجار الروس الوافديين للتجارة ولذلك تاتي اهمية الاتفاقيات التجارية بين بيزنطةو روسيا حيث سعت روسيا للحصول على الكثير من الامتيازات الخاصة بها فى القسطنطنية من خلال عقد الكثير من المعاهدات التجارية التى ظلت لعقود طويلة كما كان للمعاهدات الحربية نصيب حيث نصت بعضها علي توحيد جبهة قتال مشتركة بينهم حيث تنص تلك المعاهدات على أن أى أعتداء على القسطنطنية يعتبر أعتداء على الاراضي البيزنطينية فى هذه الحالة يجب على الروس أن يمدوا القسطنطنية بما يلزمها من عدة وجنود للحرب كما أنها الزمت الامير الروسى أن يشن حرب مع بيزنطة ضد المعتدى اذا طلب منه ذلك وتلك ما حدث فى عهد الامير سفياتوسلاف عندما قام بالهجوم على البلغار لابعادهم عن القسطنطنية، وفى عهد فلاديمير عندما قام بإخماد ثورة تهدف الى إسقاط الامبراطور البيزنطى ويمكن القول أن الروس قد تشبعوا خلال تلك الفترة بالحضارة اليونانية البيزنطينية لذلك قاموا بتطوير أنفسهم فى المجالات الفنية والثقافية والانسانية وغيرها كالدين.

المصـادر والمراجـع

أولاً: المصادر الاجنبية:

Cedrenus, Compendiu Historiam, ed. Bekker, SCHB, Bonn, 1835.

Constantine Porphyrogennetos, The Book of Cermonies, trans by,Ann Moffatt, 2 volumes, Canberra, 2012

Constantine Porphyrogennetos, De, Administrando Imperio, Englishtrans, Jenkins, R.J.H., Washington, 1967

وقد رجع الباحث إلي النسخة العربية التي تحمل عنوان:

قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ت دكتور محمد سعيد عمران ، بيروت،١٩٧٣م.

The Russian Primary Chronicle,Ed.And Trans. S.H. Cross And O.P. Sherbowitz, Cambridge, Ma,1953.

Leo Deacon, The History Of Leo The Decon, Trans By ,A,1214. New York 2016.

Leo VI:

The Book of the Eparch, trans. E. H. Freshfield in Roman Law in the Later Roman Empire (1938).

وقد رجع الباحث إلي النسخة العربية التي تحمل عنوان:

ليو السادس ،كتاب والي المدينة ترجمة السيد الباز العريني، مجلة كلية الأداب، جامعة القاهرة، مجلد١٩، جـ ١، مايو ١٩٥٧م

Michael Attaleiates, History Of Michael At Taleiates, Trans, By Kalellis. A, London. 2012

Skylitzes, A Snopsis Of Byzantine History: 811-1057 A.D, Transby, Wrtley,J., Cambridge,2011

ثانياً: المصادر العربية:

المقرى، أحمد المقرى التلمسانى ،نفخ الطيب من غصن الاندلس الطيب ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر بيروت ،١٩٦٨م .

المروزى ،(شرف الزمان طاهر)، ابواب عن الصين والترك والهند ، من كتاب طبائع الحيوان ،نشره مينوريسكى بالعربية مع ترجمة وتعليق بالانجليزية لندن ١٩٤٢م .

يحى بن سعيد الانطاكى، تاريج الانطاكى ، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، تحقيق عمر عبد السلام ،جروس برس– لبنان ١٩٩٠م

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Brugge.F, Law Medieval Russia,Leiden, 2009

Catherine.E,The History Of Russian Empire From The Foundation To Declean,London 1757, Vol 1.

David.N,Arimes Of Medieval Russia (750-1250),Osprey Publishing Limited(1999) .

Dolger.F,Regesten Der Kaiserurkunden Des Ostromischen Reiches Non 565-1453,Berlin 1976, Band.111.

Haywood,A., Northen Viking Saga,AD 793-1214,Newyork,2016

Leclerc,History, Physiague, Etpolitique, Dela Russie An Cieme M Tomel, Paris1783

Milner-Gulland, The Russians,Wiley-Blackwelly,2000

Nicolle,D,Angusmcbride Armies Of Medieval Russia,950-1250,Ox Ford 1999.

Oblensky.D,The Byzantine Commonwealth London1974

Oblensky.G,Byzantium And Slaves, U.S.A,1994.

Ostrogosky.M,History Of Byzantium State,Oxford,1956.

Perrle M, The History Of Russia.From Early Rus To 1689,(Cambridge Univeisity Press,2006.

Solovier., A.L`Organization De L`Etat Russae Aux Siècle. L`Europeaux Ix-Xi Siècles,Varsovie,1968.

Van.R., The Story Of Russia, New York.American Book Company, Library Of Comgress, Two. Jan 1906.

Vasiliev .A., The Russian Attack On Constantinople In 860,Massachusetts.1940.

Vasiliev .A.,The Russian Attack On Constantinople ,Dop.Vol.16.1951.

Vernadsky.G.,The Problem Of The Early Russian Campaign In The Black Sea Area, In Aseer, Vo1.8. No.1, Feb.1949.

Whitte.M.,The Making Of Orthodox Byzantium 600-1025,Uk,1996.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

- السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطينية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- جان لكودشينة، تاريخ بيزنطة، ترجمة جورج زيناتى، بيروت ٢٠٠٨م.
- طارق منصور محمد، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥-١٠٥٤م ، مصر العربية للتوزيع والنشر، القاهرة ٢٠١١م.
- فازيليف، العرب والروم، ترجمة، محمدعبد الهادي-فؤاد حسنين علي، دار الفكر العربي ، ١٩٩٨.
- محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطينية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.
- نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، دار النهضة للطباعة، بيروت ، ١٩٦١م.

خامساً: الرسائل العلمية:

١-**المتولي السيد تميم**،البشناق والبيزنطيون،دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية (٨٥٠-١٢٢٢م)،رسالة ماجيستير غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة المنصورة،**١٩٩٦**.

٢-**هبة جبر عطية**،الصلات الحضارية بين الدولة البيزنطنية والمسلمين فى القرنين التاسع والعاشر الميلادى، رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الاداب ،جامعة بورسعيد،٢٠١٩م

سادساً: الدوريات العربية:

- **محمد عثمان عبد الجليل**، أضواء على الدور التجارى لخرسون من القرن الخامس الى العاشر الميلادى،مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الاداب شبين الكوم، جامعة المنوفية.